الفصـــــــل الأول

علاقـــــات المصـــــــريين بـالمـــــينويين والمـــــيكينيين

١. تفاصيل من ورقة بردي جنائزية هيروغليفية عليها صورتي أوزيريس وإيزيس، عام ١٢٥٠ ق. م. تقريباً، من إصدار Carol Andrews (مراجعة). «The Ancient Egyptian Book of the Dead»، لندن، British Museum Press، ١٩٧٢.

لقد تمّ بالفعل التحقق من جميع أنواع اتصالات المصريين بدايةً مع الكريتيين وسكان ثيرا وجموع بحر إيجة وقبرص، بل ومع الميكينيين أيضاً فيما بعد، منذ عام ٢٦٠٠ ق. م. ويمثل هذا الأمر أول اتصال لأوروبا مع الشرق. وكان العامل الحاسم في علاقاتهم الثقافية والاقتصادية هو مسافة جزيرة كريت القريبة نسبياً من سواحل مصر والتي تُقدّر بحوالي ٣٠٠ ميلاً. لعبت الجيوموفولوجيا دوراً رئيسياً في تاريخهم الثقافيّ: فمن ناحية أنشأت مصر – هبة النيل التي يحدها من الجنوب الشرقيّ صحراء وعرة – حضارة مختلفة عن كل شعوب الشرق، وعن السومريين والأكديين على سبيل المثال، ومن الناحية الأخرى كريت التي يعد البحر حصناً طبيعياً لها وكذلك نعمة الجمال الذي يميز جزر بحر إيجة.[1]

٢. تمثال على شكل إنسان. يرجع تاريخه إلى ما بين الفترة المينوية المبكرة والفترة المينوية الوسطى (أي بين القرن الثلاثين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد). بلاتانوس، من قبر مقبب (دفن جانبي). هيراكليون، المتحف الأثري، قطعة رقم ٢٢٣. ارتفاع ٠,٠٥٤ وعرض ما بين الكتفين ٠,٠١٩ م. مصنوع من الحجر الجيري الأبيض. لم يحدث له أي ضرر. («قائمة كريت - مصر»، ٢٩، صورة رقم ٦).

المملكة القديمة

تعدّ المملكة القديمة فترة من التاريخ المصري خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، تتميّز بازدهار حضاري مستمر. تولّى فيها مقاليد الحكم المصري ملوك الأسرة الثالثة وحتى الأسرة السادسة في الفترة ما بين (٢٦٥٠ – ٢١٥٥ ق. م.) حيث كانت منف مقراً لهم. منذ ذلك الوقت فصاعداً حمل ملك مصر لقب «فرعون» فكان يمثل الحاكم المطلق

جدول التسلسل الزمني لتاريخ مصر

الفترة المبكرة	الأسرتين الأولي والثانية: ٢٩٥٠-٢٦٥٠ ق.م.
المملكة القديمة	من الأسرة الثالثة إلى الأسرة السادسة: ٢٦٥٠-٢١٥٥ ق.م.
الفترة الانتقالية الأولى	من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة: ٢١٥٥-٢٠٢٤٠ ق.م.
المملكة الوسطى	من الأسرة الحادية عشر إلى الأسرة الثالثة أو الرابعة عشر عشر: ٢١٣٤-١٦٥٠ ق.م.
الفترة الانتقالية الثانية	من الأسرة الخامسة عشر إلى الأسرة السابعة عشر: ١٦٥٠-١٥٥١ ق.م.
المملكة الحديثة	من الأسرة الثامنة عشر إلى الأسرة العشرين: ١٥٥٠-١٠٧٠ ق.م.
الفترة الانتقالية الثالثة	من الأسرة الحادية والعشرين إلى الأسرة الرابعة والعشرين ١٠٧٠-٧١٢ ق.م.
الفترة المتأخرة	من الأسرة الخامسة والعشرين إلى الأسرة الحادية والثلاثين: ٧١٢-٣٣٢ ق.م.
العصر الهلينستي	الأسرة البطلمية: ٣٠٥-٣٠ ق.م.
بطليموس الأول سوتير (المنقذ)	٣٠٥-٢٨٢ ق.م.
بطليموس الثاني فيلادلفوس (المحب لأخيه)	٢٨٤-٢٤٦ ق.م.
بطليموس الثالث إيفرغيتيس (المحسن)	٢٤٦-٢٢٢ ق.م.
بطليموس الرابع فيلوباتور (المحب لأبيه)	٢٢٢-٢٠٤ ق.م.
بطليموس الخامس ابيفانيس (الظاهر)	٢٠٤-١٨٠ ق.م.
بطليموس السادس فيلوميتور (المحب لأمه)	١٨٠-١٦٤/ ١٦٣-١٤٥ ق.م.
بطليموس السابع نيوس فيلوباتور (الصغير المحب لأبيه)	تمّ اغتياله قبل أن يحكم
بطليموس الثامن إيفرغيتيس الثاني فيسكون (المحسن الثاني الملقب بالبدين)	١٧٠-١٦٣/ ١٤٥-١١٦ ق.م.
بطليموس التاسع سوتير الثاني لاثيروس (المنقذ الثاني الملقب بحمص)	١١٦-١٠٧/ ٨٨-٨١ ق.م.
بطليموس العاشر الإسكندر الأول	١٠٧-٨٨ ق.م.
كليوباترا برينيكي	٨١-٨٠ ق.م.
بطليموس الحادي عشر الإسكندر الثاني	٨٠ ق.م.
بطليموس الثاني عشر نيوس ديونيسوس افليتيس (ديونيسوس الصغير الملقب بالزّمّار)	٨٠-٥٨/ ٥٥-٥١ ق.م.
برينيكي الرابعة	٥٨-٥٥ ق.م.
كليوباترا السابعة	٥١-٣٠ ق.م.

جدول التسلسل الزمني لتاريخ جزيرة كريت

آرثر إيفانز	نيكولاوس بلاتون	التسلسل الزمني القديم	التسلسل الزمني الحديث
الفترة المينوية المبكرة الأولى I	فترة ما قبل القصور	٣٠٠٠ ق.م.	٣٠٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المبكرة الثانية II		٢٧٠٠ ق.م.	٢٧٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المبكرة الثالثة III		٢٣٠٠ ق.م.	٢٣٠٠ ق.م.
الفترة المينوية الوسطى I A		٢١٠٠ ق.م.	٢١٠٠ ق.م.
الفترة المينوية الوسطى I B	فترة القصور القديمة	١٩٠٠ ق.م.	٢٠٠٠ ق.م.
الفترة المينوية الوسطى II A-B		١٨٠٠ ق.م.	١٩٠٠ ق.م.
الفترة المينوية الوسطى III A-B	فترة القصور الجديدة	١٧٠٠ ق.م.	١٨٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة I A		١٦٠٠ ق.م.	١٧٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة I B		١٥٠٠ ق.م.	١٦٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة II		١٤٥٠ ق.م.	١٥٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة III A١		١٤٢٠ ق.م.	١٤٥٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة III A٢	فترة ما بعد القصور	١٣٧٠ ق.م.	١٤٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة III B		١٣٠٠ ق.م.	١٣٠٠ ق.م.
الفترة المينوية المتأخرة III Γ		١٢٠٠ ق.م.	١٢٠٠ ق.م.
ما بعد الفترة المينوية		١١٠٠ ق.م.	١١٠٠ ق.م.

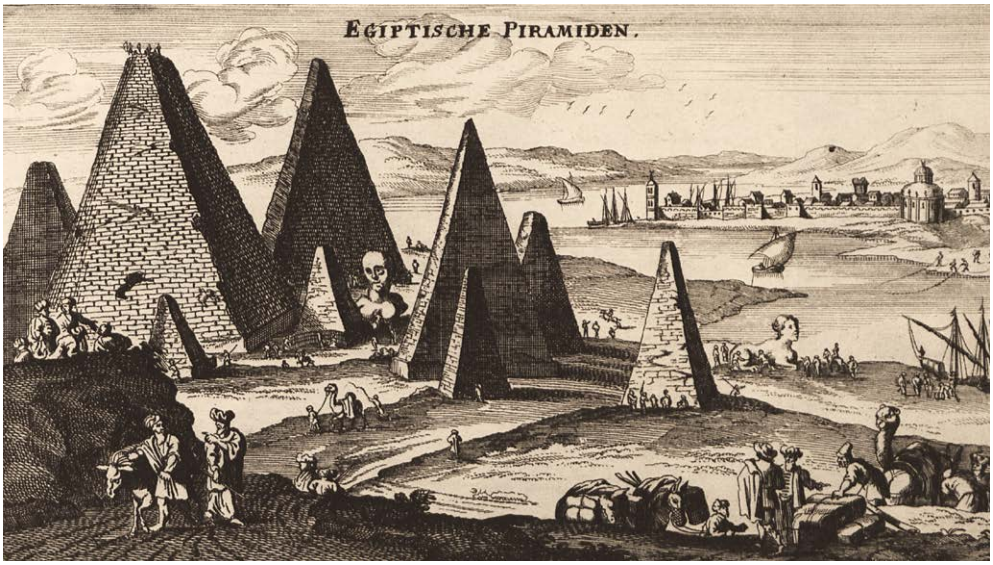

٣. صورة لمقبرة الجيزة بالقاهرة إلى جانب الأهرامات. من إصدار Jacob Peeters،
«Description des principales villes, havres et isles du golfe de Venise du coté oriental. Comme aussi des villes et forteresses de la Moree, et quelques places de la Grece..., Antwerp, Sur le marché des vieux Souliers, [١٦٩٠؟].»

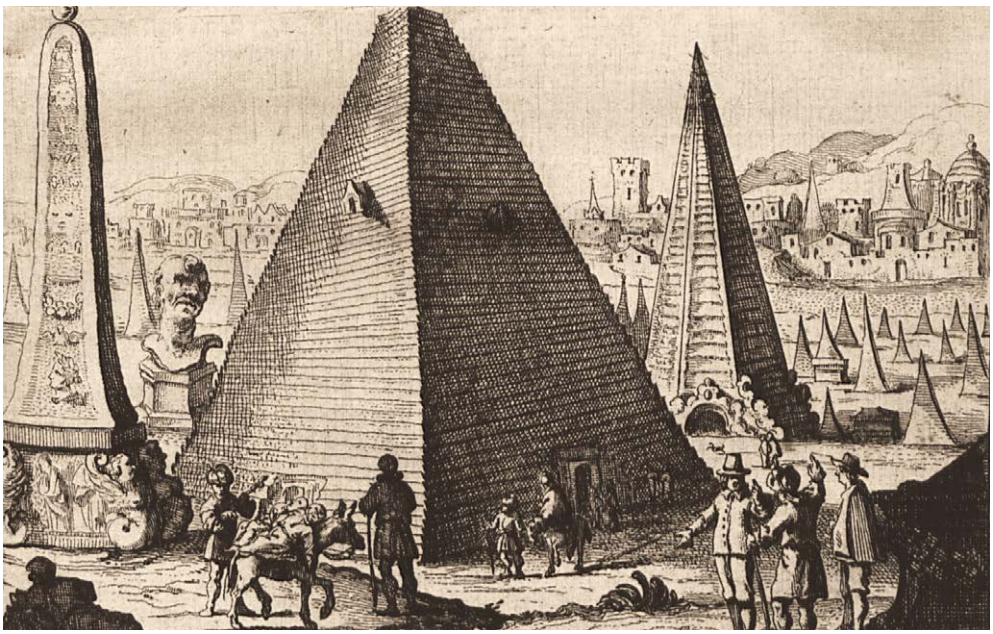

٤. أبو الهول وبجانبه الهرم في مقبرة الجيزة. من إصدار Jan Somer،
«Beschrijvinge van een Zee ende Landt Reyse Naer de Levante. Als Italien, Candyen, Cypres, Egypten, Rhodes, Archipelago, Turckyen. En vvederom door Duytslant. Gedaen door Jan Somer van Middelburgh ...», Amsterdam, Joost Hartgers, ١٦٤٩.

وإلـه مـصر الحـيّ. ويُعتـبر أول فرعـون جديـر بالأهميـة في هـذا العـصر هـو زوسر (٢٦٣٠ – ٢٦١١ ق. م.): ففـي عهـده تـمّ بنـاء الهـرم المـدرج بسـقارة (وهـي مقـبرة منـف).[٢] وإلى جانـب زوسر قـام إمحوتـب بعمـل ذي أهميـة وريـادة حيـث كان وزيـراً، وشـاعراً، وفيلسـوفاً، وكبـيراً لكهنـة الإلـه رع ومهندسـاً معماريـاً.[٣]

كان إمحوتـب (إيموثيـس باليونانيـة) يمثـل شـكلاً في غايـة التميـز مـن الحضـارة القديمـة لأنـه لم يكـن فقـط مستشـاراً للفرعـون، بـل أنشـأ أيضـاً مدرسـة للهندسـة المعماريـة تخـرج منهـا حرفيـون يضاهـون معلمهـم. وقـد قيـل كذلـك أنـه ربمـا كان أول مـن اسـتخدم العمـود الحجـري لتقويـة المبـاني.[٤]

خـلال عـصر المملكـة القديمـة والمعـروف أيضـاً باسـم «عـصر بنـاة الأهرامـات»، عمـل الفراعنـة فيـما عـدا المبـادرات الثقافيـة التـي قامـوا بهـا عـلى وضـع خطـط توسـيعية مـن خـلال غـزو كنعـان والنوبـة. في الوقـت نفسـه، تـم إضفـاء الطابـع المؤسـسي عـلى سـلطات المجتمـع المـصري وتـم إنشـاء النـماذج الأولى مـن التصويـر النحتـي للشـكل البـشري والتـي أثـرت عـلى الفـن الكريتـي المبكـر وتراثـه المبهـر.[٥]

ومـع ذلـك فـإن العـصر الذهبـي للمملكـة القديمـة كان في عهـد الأسرة الرابعـة أثنـاء حكـم الفرعـون سـنفرو (٢٥٧٥ – ٢٥٥١ ق. م.) وخليفتـه خوفـو (أو سـوفيس وفقـاً لمانيتـون). ويُنسـب لهذيـن الفرعونـين الأهرامـات الثلاثـة في ميـدوم، والهـرم المائـل بـل والأحمـر كذلـك في مقـبرة دهشـور. كـما ينسـب لخوفـو أيضـاً الهـرم الأكـبر في الجيـزة.[٦]

٥. تفاصيل من عمود الملك سنفرو، مصنوع من الحجر الجيري، القاهرة، المتحف المصري.

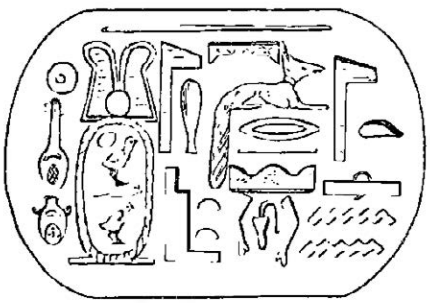

٦. ما يسمى بختم خوفو، تمت صناعته ما بين ٦٦٤ – ٤٠٤ ق. م. من الذهب، Brooklyn Museum، Charles Edwin Wilbour Fund.

المملكة الوســـــــطى

تبـدأ المملكـة الوسـطى فعليـاً في عهـد الفرعـون منتوحتـب الثـاني، ويتـم تحديدهـا زمنيـاً مـن عـام ٢١٣٤ تقريبـاً وحتـى عـام ١٦٥٠ ق. م. وتتزامـن مـع الفـترة مـن الأسرة الحاديـة عـشرة إلى الأسرة الثالثـة عـشرة والرابعـة عـشرة. تـمّ اختيـار طيبـة كمركـز لـلإدارة وسـتعرف مـصر في ذلـك الحـين عصرهـا الكلاسـيكي فيـما يتعلـق بالفنـون وبالمظاهـر الحضاريـة الأخـرى.[٧] خـلال هـذه الفـترة وبشـكل أكـثر تحديـداً منـذ عـام ١٨٨٢ ق. م. يعتـلي سـنوسرت الثالـث عـرش

٧. منتوحتب الثاني وهو متوّج بتاج مصر العليا أبيض اللون كما هو مصوّر على نقش في معبده الجنائزي.

مـصر، وهـو قائـد محـارب قـام بإنجـاز العديـد مـن الأعـمال العامـة ذات الأهميـة مثـل حفـر قنـاة كان قـد تـم إنشـاؤها في عهـد المملكـة القديمـة مسـهّلاً بذلـك عمليـة الإبحـار إلى النوبـة. في الوقـت نفسـه عمـل عـلى تنظيـم الإدارة المركزيـة لمملكتـه عـن طريـق التسلسـل الهرمـي للمسـؤوليات تحـت سـلطة القائـد الأول في الرتبـة بعـد الملـك.

عنـد بدايـة حكـم ابـن أمنمحـات الثالـث، انطلـق الازدهـار الاقتصـادي في المملكـة الوسـطى وذلـك عندمـا قـام الفرعـون باسـتغلال مـوارد مـصر الطبيعيـة وخاصـة الصخـور الغنيـة في شـبه جزيـرة سـيناء.

وفيـما يتعلـق بمجـال الفـن، كان التمثـال ذو الشـكل المكعـب يعـدّ أحـد ابتـكارات المملكـة الوسـطى والـذي ظـل في طليعـة الفـن خـلال العـصر البطلمـي.

منـذ بدايـات الأسرة الثانيـة عـشرة، حـوالي عـام ١٩٩٠ ق. م. كان المصريـون قـد بـدأوا بالفعـل الملاحـة البحريـة بهـدف التجـارة في المقـام الأول وذلـك بدايـة مـن شـواطئ البحـر الأحمـر حتـى بـلاد العطـور، بـل وإلى السـواحل الآسـيوية مـن البحـر المتوسـط مـما جعلهـم يتصلـون بشـعوب وأشـياء لم يكـن لهـم سـابق معرفـة بهـا. فاتصالهـم وتعاملهـم مـع هـذه الشـعوب جعلهـم عـلى معرفـة بـتراث أسـطوري شـفهي، تـم تسـجيله في شـكل روايـات ذات طابـع لاهـوتي كـوني.[٨]

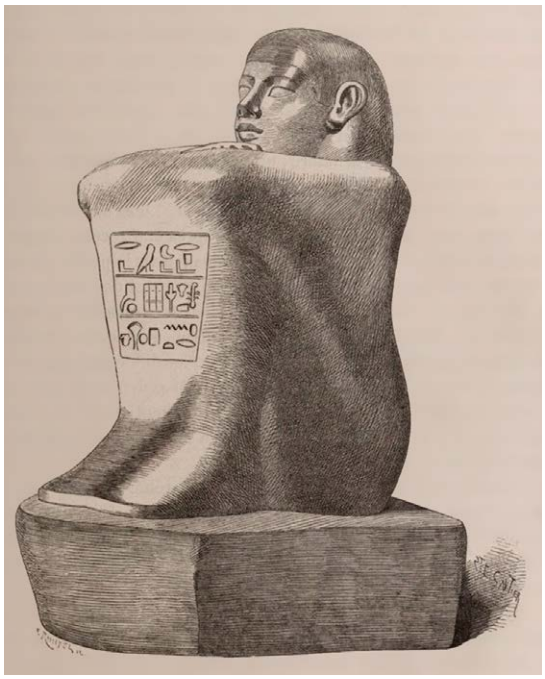

٨. رسم توضيحي لكاتب، من تمثال منحوت، محفوظ في متحف اللوفر. من تصميم Saint-Elme Gautier. ومن إصدار Georges Perrot & Charles Chipiez، «Histoire de l'art dans l'antiquité [...]»
م. ١، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٢ (م. أ).

حـــــول الأدب المصري

في الوقـت نفسـه تـمّ نسـج تقليـد شـعبي آخـر، تُنُوقِـل شـفهياً مـن فـم إلى فـم وكان يحتـوي عـلى روايـات وتجـارب شـخصيّة خاصـة بالرحالـة المصريـين أو إصـدارات مـن روايـات شـعوب أخـرى تـمّ تكييفهـا طبقـاً لاهتمامـات المصريـين.[٩] ولنذكـر هنـا كذلـك شـعر الغـزل عنـد قدمـاء المصريـين: فـإذا اسـتندنا الى كلـمات أول رجـل لامـرأة، سـندرك أن هـذا الشـعر قديـم قـدم الحـب نفسـه.[١٠] وتكشـف بعـض أمثلتـه عـن التصـورات السـائدة في المجتمـع المـصري حـول وضـع المـرأة وشـكل العلاقـة بـين الجنسـين. فهـو شـعر في شـكل حـوار مصحـوب بخلفيـة موسـيقية.

تعاليم بتاح

سيشغلنا هنا نموذجان من الأدب المصري القديم، أحدهما يتعلق بشامل حكمة المصريين والآخر كنوع من السيرة الذاتية الروائية.

النموذج الأول بعنوان تعاليم بتاح حتب ويمثّل أقدم مقال فلسفي في مصر وربما في الأدب العالمي.[١١] يرجع تاريخه الى عهد الأسرة الخامسة (حوالي عام ٢٤٥٠

٩. كتبة يحملون أوراق البردي والاقلام. نقش على الحجر يرجع تاريخه إلى الأسرة الثامنة عشر.

ق. م.) ويقدم النصائح والتعليمات التي يوجهها بتاح حتب إلى ابنه وخليفته المستقبلي في منصب الفرعون. فيتحدث الأب عن أهمية السلوك السليم، وعن تربية الأبناء، وعن السلام الأسري، والعلاقات الزوجية، متطرقاً الى قضايا عملية أخرى. المقصد الأول من كل ذلك هو اكتساب الحكمة: فمن الواضح أن المعرفة والحكمة يتمّ اكتسابهما على مر السنين، ويخلص بتاح حتب إلى أنه «لا يولد أحد حكيماً».

قصة سنوحي

والنموذج الثاني بعنوان قصة سنوحي.[١٢] وفيما يتعلق بشعبيته فيكفي أن نذكر أنه تم حفظه على خمس برديات وأجزاء منه على سبع عشرة قطعة أوستراكا. البطل الرئيسي في هذه القصة هو شخصية مميزة تُسمى سنوحي الذي كان خادماً للملكة نفرو زوجة سنوسرت الأول. فقد أصبح سنوحي دون قصد منه شاهداً على مؤامرة سياسية قام بها أبناء الفرعون المتوفي. وعندما أدرك أن ما سمعه قد يجعله عرضة للخطر، قرر مغادرة مصر والهجرة الى كنعان. بعد مغامرات عديدة يعود سنوحي إلى وطنه ويصف كيف عاش ثم يتمتع بمحاباة الملك له حتى نهاية حياته.

لفافة البردي ككتاب

تعدّ لفافة البردي كمادة استُخدمت للكتابة فصلاً كبيراً في تاريخ الشرق الفكري، استمر في العالم اليوناني ثمّ الغربي حتى القرن الرابع الميلادي على الأقل، وبعبارة أخرى كانت ككتاب من اختراع القدماء المصريين. على عكس الحضارات الشرقية الأخرى، لم يستخدم المصريون لوح الصلصال كمادة للكتابة عليه بل قاموا باستخدام أوراق البردي أو الأصداف في بعض الأحيان ومنذ فترة ما فما بعدها قرابة القرن السادس قبل الميلاد قاموا بمعالجة وتجهيز لفائف البردي بأبعاد محددة لاستخدامها.[١٣]

١٠. نبات البردي، من تصميم Saint-Elme Gautier.

يعتبر هيرودوت (خلال القرن السادس قبل الميلاد) هو أول رحالة الى مصر ترك شهادات مكتوبة. وتبقى مميزة تلك العبارة التي يلخص فيها انطباعاته عن هذا العالم الرائع قائلاً «مصر هبة النيل». فعلى ضفاف النيل كان ينمو نبات البردي الذي كان ثيوفراستوس هو أول من تحدث عنه (في القرن الرابع قبل الميلاد).[١٤]

إن نبات البردي الذي يزدهر في مناخ حار ورطب، قد تمت زراعته في منطقة كانت تمتد من ضفاف النيل حتى وادي النيل وبشكل رئيسي في الدلتا وفي منطقة أرسينويت. وكما هو معروف فقد تم اتخاذ تصوير منمق لجذع النبات الطويل ذي الأوراق الكثيفة منذ قديم الأزل كشعار لدولة مصر السفلى. وندين لبلينيوس الأكبر الذي عاش في القرن الأول الميلادي بالوصف الجدير بالثقة الخاص بمعالجة نبات البردي من أجل عمل كتاب من لفائف البردي. ومع ذلك فإن عالم الطبيعة والفسيولوجيا الروماني لا يكشف عن كل أسرار هذا الفن الذي كان يمتلكه الحرفيون القدامى حيث كانوا ينقلون تلك الأسرار من جيل الى جيل داخل ورش عملهم.[١٥]

الكتابة المصرية: الهيروغليفية

مـن بـين جميـع الكتابـات القديمـة في الـشرق، تمثـل الكتابـة المصريـة بـلا شـك الطريقـة الأكـثر فهـماً لتسـجيل «الكلـمات» عـن طريـق التصويـر التخطيطـي للأشـخاص، والأشـياء والمعـاني. تـمّ تسـمية هـذه «الحـروف» بالهيروغليفيـة بواسـطة الإغريـق القدمـاء، ووفقـاً لإكليمنـدس السـكندري (في القـرن الثـاني الميـلادي) يمكـن تصنيفهـا إلى ثـلاث عائـلات:

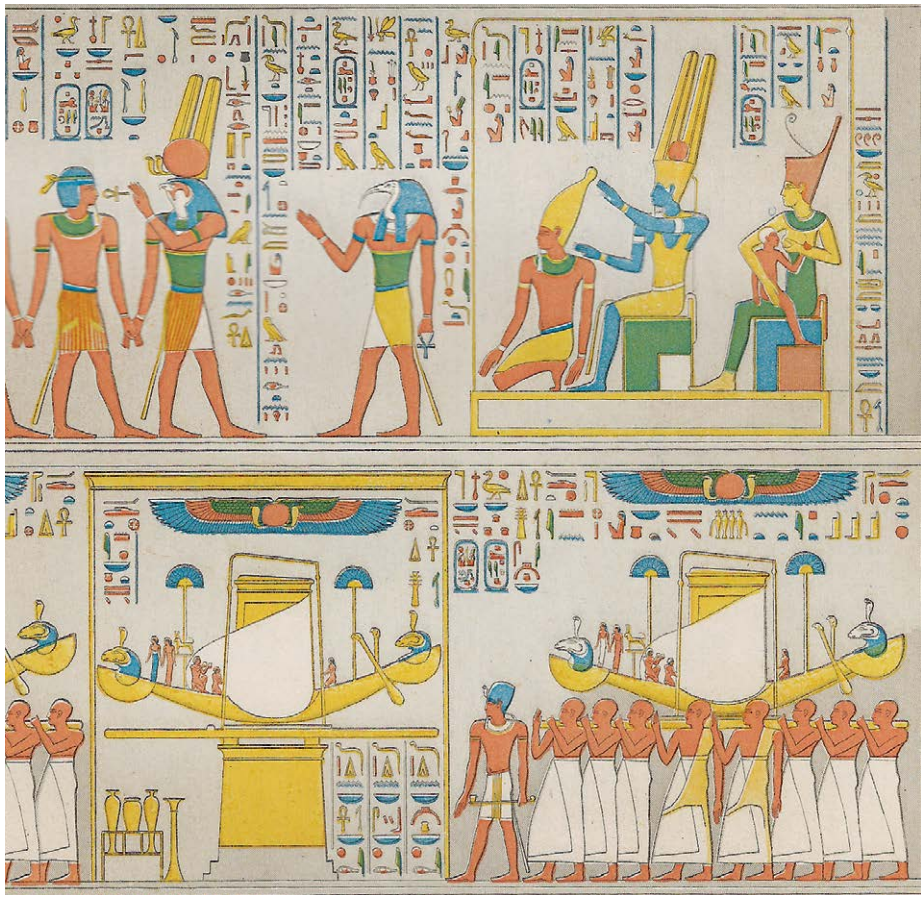

١١. نقش من الغرف الجرانيتية بالكرنك، من تصميم J. Sulpis.

ا) الهيروغليفية (وهي خاصة بالنصوص ذات المحتوى الديني بشكل أساسيّ)
ب) الهيراطيقية (وهي كتابة كانت تُستخدم من قبل الكهنة بشكل رئيسي)
ج) لغة المراسلات أو الديموطيقية (وهي كتابة خاصة بالمعاملات اليومية)

هـذا التصنيـف لـه قيمـة بالنسـبة لعهـد إكليمنـدس فقـط، حيـث إن الهيروغليفيـة هـي كتابـة بقيـت قيـد الاسـتخدام مـع وجـود القليـل مـن التعديـلات عليهـا منـذ عـام ٣٠٠٠ ق. م. حتـى القـرن الثالـث الميـلادي.[١٦] ولكـن دعونـا نـرى السـمات الأساسـية لتلـك العائـلات الثـلاث ولكتابـة كانـت تُنسـب إلى الإلـه المحبـوب تحـوت في مـصر السـفلى والتـي تـمّ اسـتخدامها في سـطر الكتـب الأولى في العـالم القديـم.

ا) تـمّ اعتـماد الهيروغليفيـة (الكتابـة التذكاريـة) في شـكل «أبجديـة» خـلال الألفيـة الثالثـة.[١٧] ومـن أجـل هـذه الكتابـة تـم اخـتراع إيديوغرامـات (رسـوماً فكريـة) ورمـوز ذات قيمـة

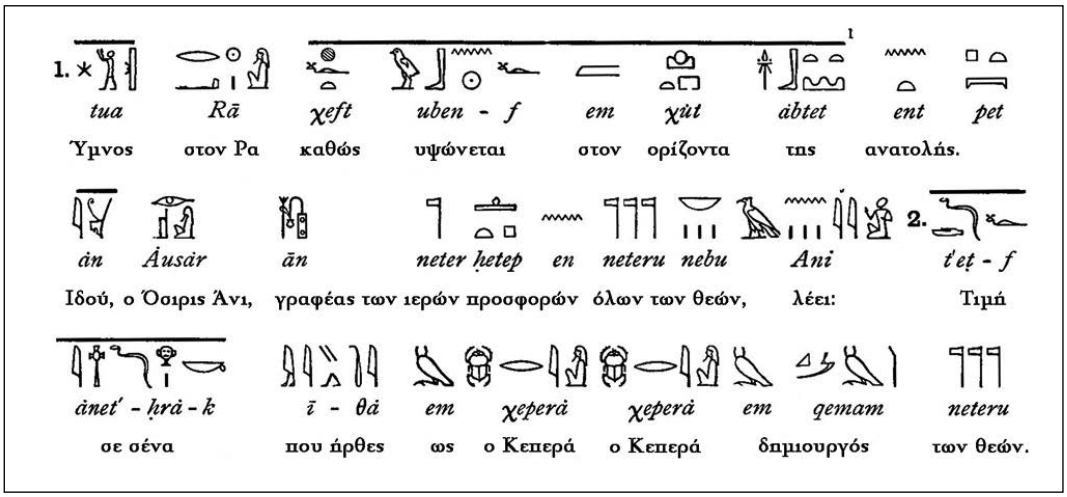

١٢. ترنيمة لرع من «كتاب الموتى» المصري الوارد في بردية آني (حوالي ١٢٥٠ ق. م.). هذه البردية محفوظة في المتحف البريطاني بلندن.

صوتيـة كانـت تعتمـد عـلى نظـام مكـون مـن ٢٤ عنـصرًا، والتـي مـن الناحيـة النظريـة كان يمكـن لأي أحـد أن يكتـب بهـا مـا شـاء. تمثّـل الهيروغليفيـة الخطيـة (كـما أطلـق عليهـا جـان فرانسـوا شـامبليون) شـكلاً مختلفـاً مـن أشـكال هـذه الكتابـة، وهـي سلسـلة مـن الهيروغليفيـة

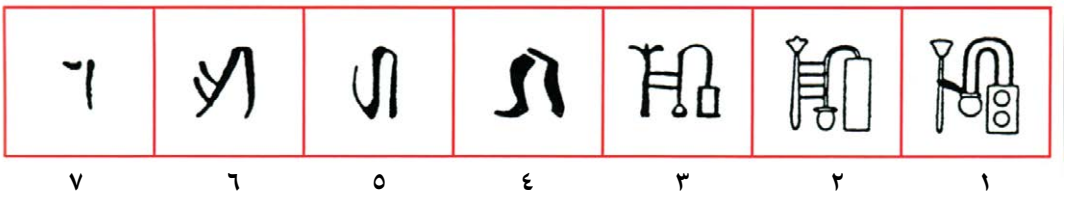

١٣. كلمة «كاتب» بالهيروغليفية، والهيراطيقية والديموطيقية (١، ٢، ٣ بالهيروغليفية، ٤، ٥، ٦ بالهيراطيقية و٧ بالديموطيقية).

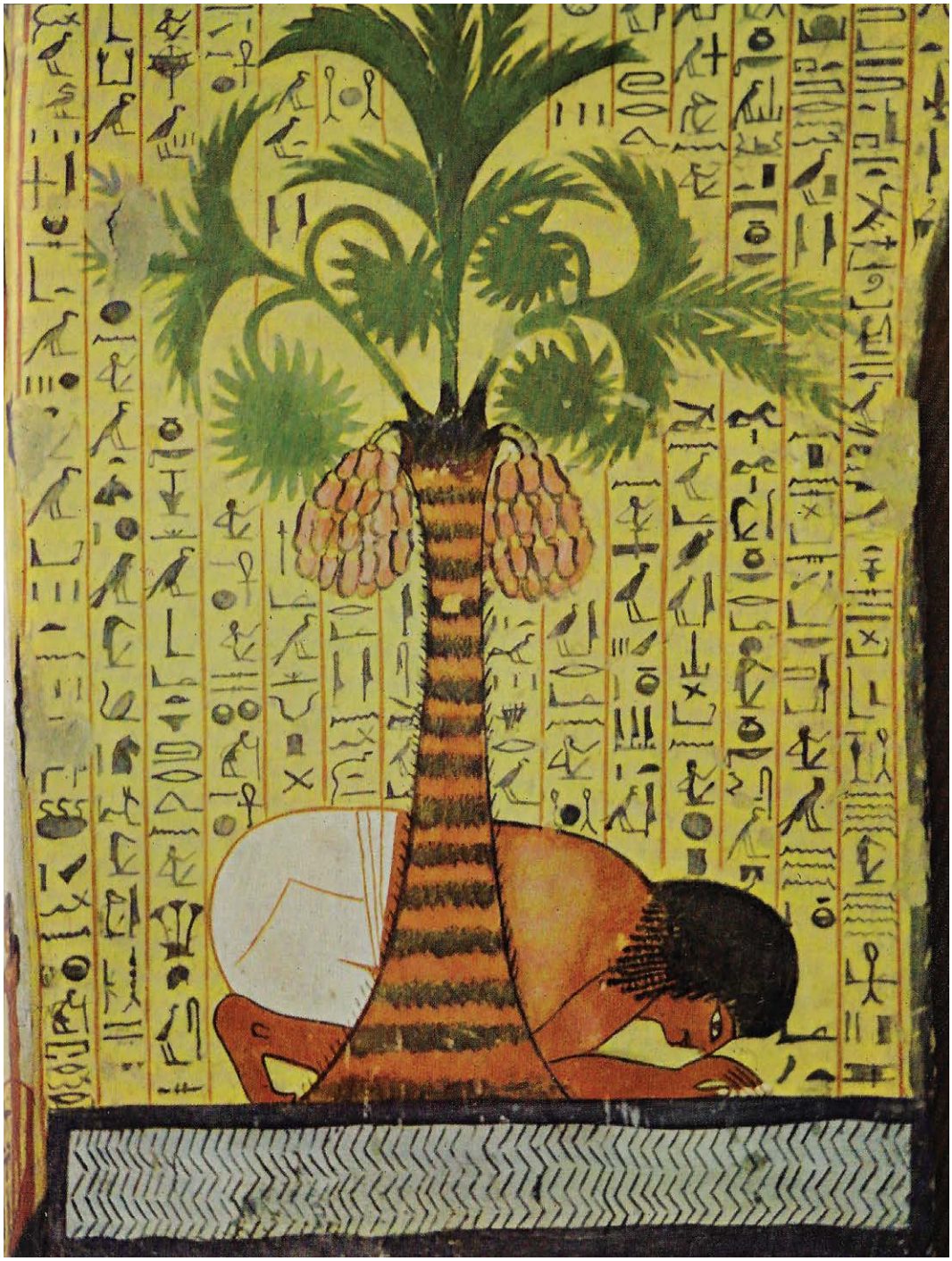

١٤. شاب يصلي. من إصدار C.W. Ceram، «L'aventure de l'archéologie»، Hachette، ١٩٥٨.

المبسطة التي تمّ استخدامها حصرياً في النقوش المرسومة بالحبر على التوابيت الخشبية وورق البردي الذي كان يصحب المومياوات.

ب) تمّ استخدام اللغة الهيراطيقية من قبل الكهنة بشكل أساسيّ، وكانت تُكتب بالحبر الأسود والأحمر على ورق البردي بشكل رئيسي وظهرت منذ عهد الأسرة الأولى.[١٨] تطورت هذه الكتابة بشكل كبير حيث استُخدمت بشكل يوميّ، ولكن على عكس المتوقع فإن الهيراطيقية لم تنجح على الإطلاق في أن تحل محل الهيروغليفية التي استمر نقشها على المباني العامة والآثار دون وجود اختلافات كبيرة بها. تطورت الهيراطيقية واختلفت بشكل ملحوظ عن الكتابة الأصلية ويعود آخر نص باقٍ من الكتابة الهيراطيقية الى القرن الثالث قبل الميلاد وهو مكتوب على شريط ضيق من القماش يحيط بمومياء.

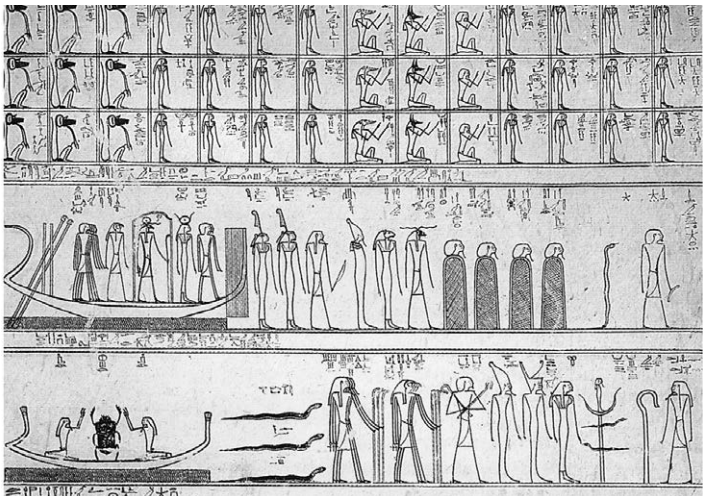

١٥. رسم توضيحي خاص بتزيين قبر تحتمس الثالث. من إصدار Françoise Dunand/R. Lichtenberg، «Le mummie. Viaggio nell'eternità»، ترييستي، Electa/Gallimard، ١٩٩٧ (م. أ).

ج) تطورت لغة المراسلات (الديموطيقية) من الهيراطيقية وبدأت تتشكل منذ بداية القرن الثامن قبل الميلاد.[١٩] وكان الغرض منها هو التبسيط وذلك عن طريق اعتماد شكل كتابي جديد يتناسب مع احتياجات الحياة اليومية، حيث استُخدِمت في كتابة الأعمال الإدارية وكذلك من قِبل كتبة الرسائل والأدباء. وتمّ تحقيق هذا التبسيط عن طريق جمع وتصنيف رموز الكتابة واستبدالها بغيرها من الرموز التي كانت تُكتب بشكل مختصر. ويعود تاريخ آخر نص موجود باللغة الديموطيقية إلى عام ٤٧٦ م.

لم يتم تزيين المباني الأثرية وأماكن الدفن الفنية المعقدة فقط بهذه الخطوط الكتابية الثلاثة، ولكن تمت كتابة النصوص الأدبية المصرية بها أيضاً. في الواقع، وعلى عكس ما ساد اعتقاده سابقاً، لم يكن الهدف من هذه النصوص هو مجرد إعداد الإنسان لرحلة ما بعد الموت الطويلة، بل كانت تمثل الأداة الأساسية التي ساعدت على

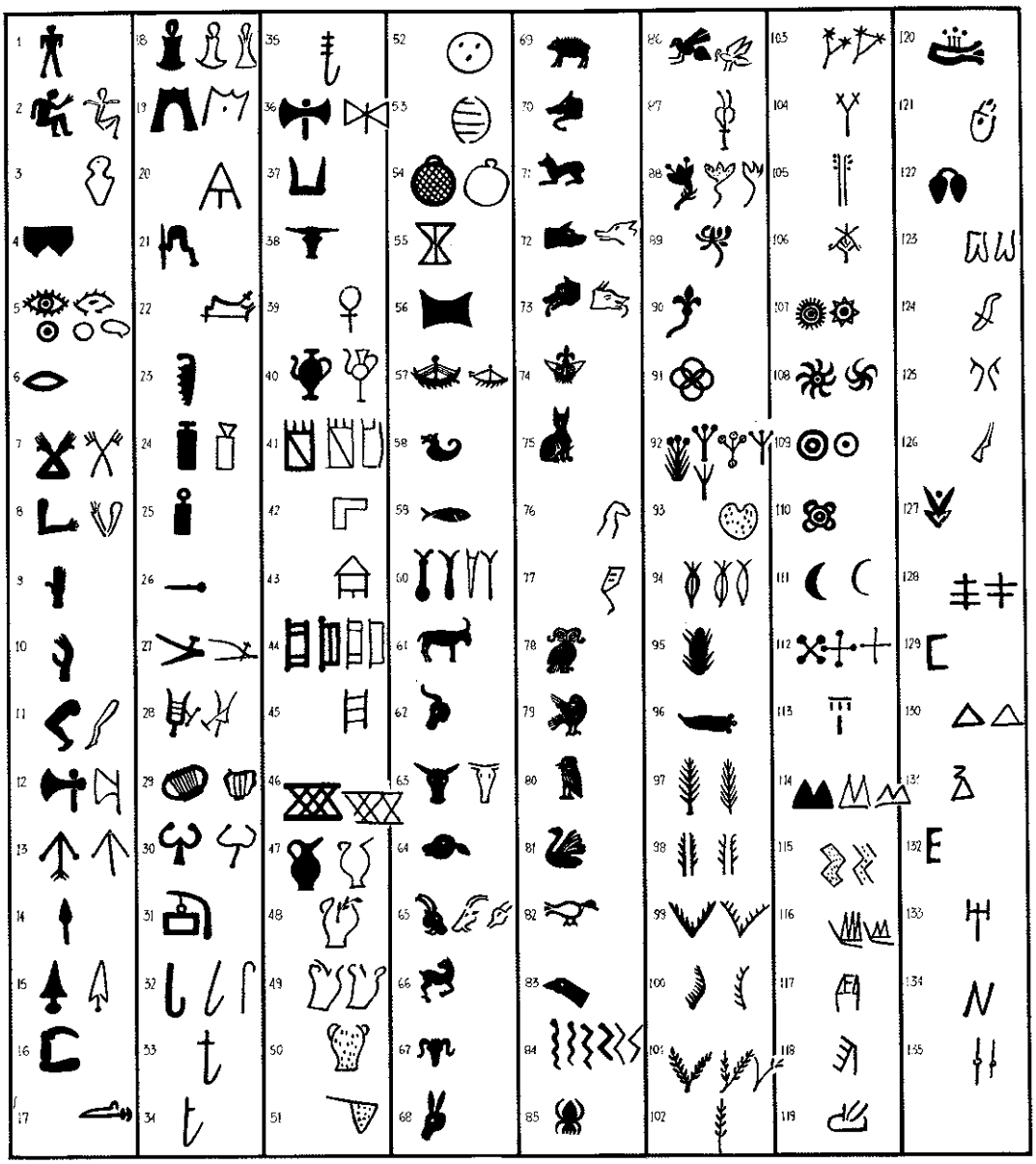

١٦. جدول به ١٣٥ عنصراً تصويرياً أو هيروغليفياً والتي قام في الأصل بتصنيفها آرثر إيفانز وكذلك ما يقابلها بعد الانتقال من الرموز المنقوشة بشكل كامل إلى الرموز الخطية.

خلـق أدب عريـق جـذاب، يحمـل فروقـاً فلسـفية قويـة والتـي بدورهـا لاقـت صـدىً كبـيراً عنـد الجمهـور المتعلـم وكذلـك الطبقـات الشـعبية.

الكتابة التصويرية (الهيروغليفية) في كريت

حـوالي عـام ٢٥٠٠ ق.م. أي بعـد وقـت قليـل مـن تأسـيس القصـور الأولى، ظهـر في جزيـرة كريـت مزيـج مـن الرمـوز كانـت عـلى الأختـام، مشـيرة إلى وجـود شـكل مـن أشـكال الكتابـة. وهـي عبـارة عـن إيديوغرامـات عـلى شـكل وجـوه وأشـياء. سُـمّيت هـذه الكتابـة بالهيروغليفيـة نسـبة للهيروغليفيـة المصريـة لكنهـا لم تكشـف لنـا عـن سرهـا ولم يتـم معرفـة اللغـة التـي قدمتهـا. تـم اسـتخدامها في جزيـرة كريـت بشـكل رئيـسي حتـى نهايـة الفـترة المينويـة الوسـطى *IB* (أي عـام ٢٠٠٠ ق.م.) ومنـذ ذلـك الحـين اسـتُخدمت بشـكل متقطـع حتـى عـام ١٨٠٠ ق.م. تقريبـاً، بينـما كانـت تظهـر في بعـض الأحيـان في النصـوص الدينيـة في وقـت أبكـر.[٢٠]

تنوعـت أشـكال رمـوز تلـك الكتابـة فيشـير البعـض منهـا إلى المملكـة الحيوانيـة متمثلـة في القطـط البريـة أو رؤوس الأسـود والثـيران، بينـما البعـض الآخـر يصـور أطرافـاً بشريـة أو أشـكالاً بشريـة كاملـة الجسـد. ويمثـل العديـد منهـا أواني وأدوات وأشـياء خاصـة بالحيـاة اليوميـة (مثـل المحاريـث والقياثـير والسـفن) والفـأس المـزدوج. غالبـاً مـا تكـون الكتابـة الأيقونيـة مصحوبـة برمـوز مسـاعدة مختلفـة (كالسـبائك الصغـيرة والخطـوط والصلبـان بشـكل أسـاسي)، والتـي عـلى الأرجـح تشـير إلى إتجـاه الكتابـة المنقوشـة أو شيء آخـر، لكـن دون أن يكـون لهـا قيمـة صوتيـة.

يشـتمل نظـام الكتابـة هـذا عـلى أكـثر مـن ١٣٥ رمـزاً تصويريـاً وأكـثر مـن ٩٠ مقطعـاً لفظيـاً لهـا قيمـة صوتيـة، أي أنهـا كانـت توضـح المقطـع الأوّلي للعنـاصر التـي تمثلهـا. ويمكـن التمييـز بـين هـذه الإيديوغرامـات بسـهولة لأنهـا غالبـاً مـا تكـون مصحوبـة برمـوز عدديـة. تظهـر الكتابـة التصويريـة عـلى مـا يقـرب مـن ٣٣١ نقشـاً، وعـلى أختـام أو طبعـات الأختـام، وعـلى أقـراص منقوشـة، وميداليـات، وقضبـان فخاريـة صغـيرة ولوحـات وغيرهـا.[٢١]

تـم العثـور عـلى أقـدم عينـات مـن الكتابـة السـالفة الذكـر في تـلّ «فـورني» وفي «أرخانيـس» ويرجـع تاريخهـا في الغالـب إلى نهايـة الفـترة المينويـة المبكـرة الأولى. تطـورت الإيديوغرامـات بشـكل رئيـسي خـلال الفـترة المينويـة المبكـرة الأولى وتـم العثـور عـلى عينـات منهـا بشـكل أسـاسي في جزيـرة كريـت (في ٣٢ موقعـاً)، وفيـما عـدا «ميغالونيسـو» وُجـدت في

١٧. رسم توضيحي لمكتبة المحفوظات (الأرشيف) بقصور كنوسوس بما فيها من ألواح، وألواح ثنائية الوجه ووثائق بردية مرتبة في صناديق خشبية، وجِرار وسِلال. من تصميم ق. س. ستايكوس (تنفيذ: ستافرولا لازاري).

«كيثيرا» و «ساموثراكي» فقط. وعُثر على أهم المكتَشَفات في قصر كنوسوس وفي محفوظات قصور «ماليا». ومع ذلك تم اكتشاف سبعة أختام مصنوعة من العظام في «أرخانيس» وبشكل أكثر تحديداً في مقبرة «فورني» (يرجع تاريخها إلى مابين عام ٢٣٠٠ وعام ٢١٠٠ ق.م.) وهي ذات أشكال مختلفة وبها رموز تصويرية، وعُثر كذلك على ختم فريد من نوعه على شكل ثلاثة مكعبات متصلة، ينتهي أحد طرفيه بمقبض وعليه أربعة عشر ختماً منقوشاً. يرجع أسلوب تصميم هذه الرموز إلى المعايير التصويرية المبكرة وهو ما يسمى بـ «كتابة أرخانيس».

إن الكتابة التصويرية التي كانت تستخدم حتى نهاية الفترة المينوية الوسطى II A-B، وصولاً إلى عام ١٨٠٠ ق.م. تقريباً وذلك بالتوازي مع «النظام الخطي أ» (١٨٥٠-١٤٥٠)، استُخدمت في نصوص ذات طابع ديني أو نصوص لها علاقة بإقامة الطقوس الدينية، وليس من المستبعد إمكانية ظهور أكثر شكل متطور لها في «قرص فستوس» نفسه. ويمكن تفسير التزامن بين نظامي الكتابة هذين بعدة طرق – على الرغم من أن كل نظام كان له فائدته في تسجيل لغة أو محتوى مختلفَين.

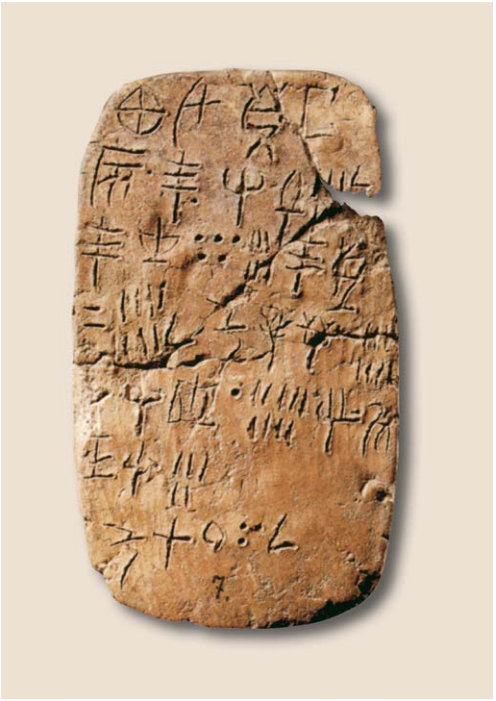

١٨. لوح محفور عليه عناصر ترجع إلى «النظام الخطي أ»، تم العثور عليه في أغيا تریاذا (القرن الخامس عشر قبل الميلاد). متحف هيراكليون الأثري.

١٩. لوح محفور عليه عناصر ترجع إلى «النظام الخطي أ»، تم العثور عليه في كنوسوس (حوالي ١٧٠٠ ق. م.). متحف هيراكليون الأثري.

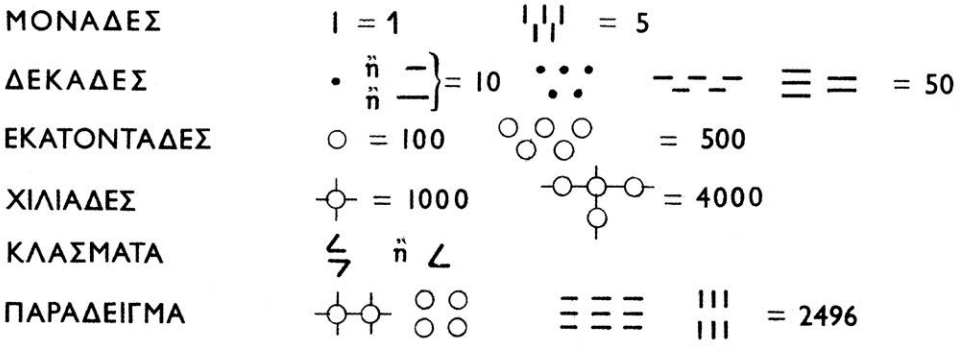

٢٠. جدول يلخص رموز «النظام الخطي أ» والنظام الحسابي العشري الخاص بفترة القصور الجديدة.

النظام الخطّي أ

وصف آرثر إيفانز هذه الكتابة بالخطية لأنها كانت تقدم الكائنات أو الأشياء التي كانت تعبر عنها خطّيّاً بدقة تتراوح ما بين القليلة والكبيرة، أي أنها كانت خطية أكثر من كونها كتابة تصويرية. وهي تتكون من مقاطع لفظية (أحرف ذات قيمة صوتية محددة تمثل مقاطع) وإيديوغرامات (أحرف تعبر عن أشياء)، ولم يتم بعد فك رموز «النظام الخطي أ» على الإطلاق، ومع ذلك يُعتقد أنه مرتبط بالكتابة التصويرية (الهيروغليفية) فهو يعدّ بمثابة التطور المبسط لهذه الكتابة الكريتية المبكرة. إن الاستخدام الموازي لنظامي الكتابة هذين لمدة قرنين على الأقل، وتبني نظام الكتابة الخطية الأبسط في النهاية والتي تسمى أيضاً بالكتابة الخطية الأولى، يفترض على الأغلب وجود صلة قرابة بين هذين النظامين.[٢٢]

تمّ اكتشاف أقدم عيّنات تنتمي إلى «النظام الخطي أ» في فيستوس ويعود تاريخها إلى الفترة المينوية الوسطى II (١٩٠٠-١٨٠٠). وتمّ استخدام هذا النظام على نطاق واسع بشكل رئيسي في جزيرة كريت، ولكن عُثِر على عينات منه في جزر بحر إيجة، حيث كانت توجد المستعمرات الكريتية أو المراكز التجارية في طيبة و«ميلوس» و «كيثيرا» و «ميليتوس» و «ساموثراكي» وغيرها.[٢٣] فقد سادت هذه الكتابة بشكل أساسي على الكتابة التصويرية منذ الفترة المينوية الوسطى III (١٨٠٠) وحتى الفترة المينوية المتأخرة III A (١٤٥٠)، واستمر استخدامها حتى تدمير القصور المينوية في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، في حين تظهر أحدث عيناتها على تمثال منقوش يعود تاريخه إلى الفترة المينوية المتأخرة III A1 من «كاتساباس».

وبالنسبة لشفرة «النظام الخطي أ» فلا نجد سوى بعض التخمينات حولها، وسواء نُسِبت إليها قيمٌ صوتية كما هو الحال في «النظام الخطي ب» أو أنها ارتبطت بأنظمة كتابية لشعوب الشرق مثل الحيثيين أو اللوفيين (الليديين فيما بعد)، لكن ليس من المستبعد أنها تمثل لغة خاصة بسكان بحر إيجة وُجدت قبل اللغة اليونانية.

تحتوي معظم الألواح الخاصة بـ «النظام الخطي أ» على محتوى حسابي، وبالطبع فإن جميع الألواح الخاصة بالفترة المينوية الوسطى I B والتي عُثر عليها في «فيستوس» تعدّ في نفس الحالة، أي أنها تسجل بيانات متعلقة بالممتلكات الملكية مثل المحاصيل الحولية على سبيل المثال، وكذلك الأشخاص الذين كانوا يزرعون ويستغلون الأراضي المَلَكيّة ويديرون التبرعات.

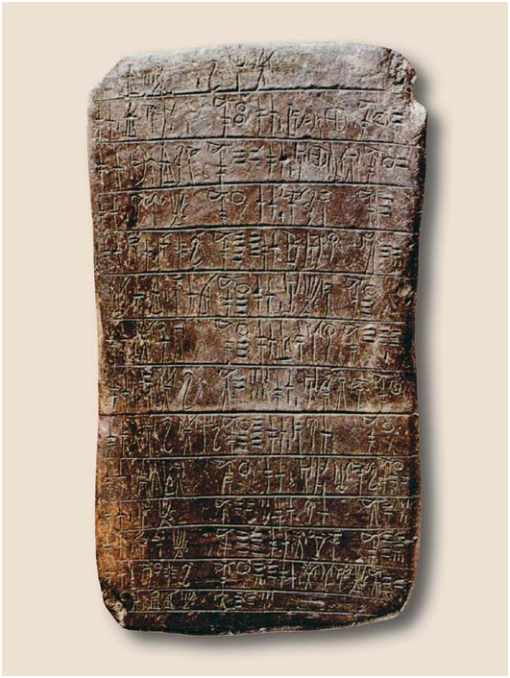

٢١. لوح على شكل صفحة محفور عليه رموز ترجع إلى «النظام الخطي ب»، تم العثور عليه في قصر بيلوس (القرن الثالث عشر قبل الميلاد). المتحف الوطني الأثري بأثينا.

٢٢. ختم عاجي مستطيل الشكل به ١٤ ختماً منقوشاً. يرجع تاريخه إلى ما بين ٢٣٠٠ و٢١٠٠ ق. م. متحف هيراكليون الأثري.

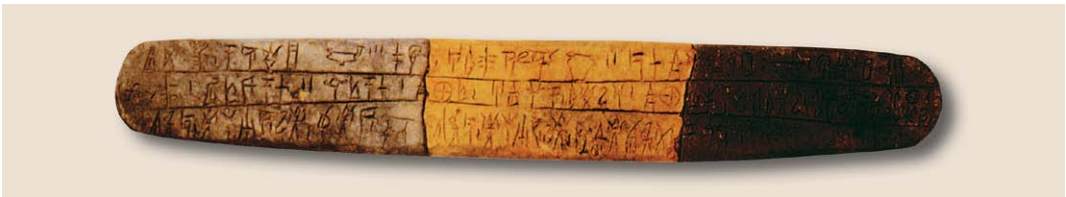

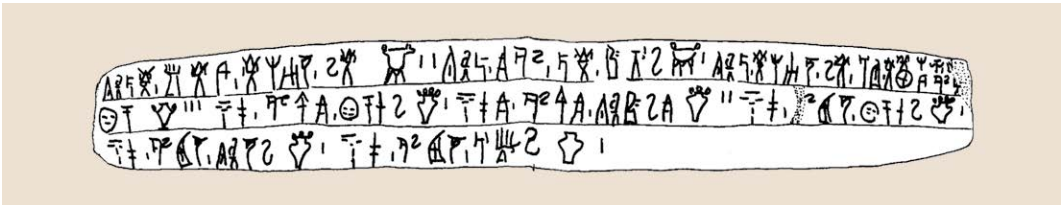

٢٣. لوح على شكل ورقة شجر محفور عليه رموز ترجع إلى «النظام الخطي ب»، وعُثر عليه في قصر كنوسوس (القرن الثالث عشر قبل الميلاد). تم تسجيل عليه بعض أواني الطهي. المتحف الوطني الأثري بأثينا.

٢٤. تصميم يوضح المقاطع اللفظية والرموز التصويرية.

النظام الخطّي ب

أطلق إيفانز على هذه الكتابة اسم «النظام الخطي ب» مدركاً مدى إرتباطها بـ «النظام الخطي أ»، وذلك على الرغم من مدى تطورها وحداثتها. ولكن ليس من المستبعد أن يكون «النظام الخطي ب» قد وُلد خارج جزيرة كريت، في اليونان القارية ثم تمّ نقله لاحقاً إلى «ميغالونيسو». ربما كان الدافع وراء إنشاء «النظام الخطي ب» هو اتصال الميكينيين الثقافي بالكريتيين والذي بلغ ذروته عند دخول الميكينيين إلى الجزيرة حوالى عام ١٤٥٠، وبالتالي حلّ «النظام الخطي ب» محلّ «النظام الخطي أ» في محفوظات مجمّعات قصور كريت الكبرى.

ترجع العينات الأولى من «النظام الخطي ب» إلى أرشيف كبير وهام من اللوحات، يوجد في قصر كنوسوس ويعود تاريخه إلى عصر الاحتلال الكامل وتدمير القصور أثناء الفترة المينوية المتأخرة II/ III A1 (حوالي عام ١٤٥٠).[٢٤] وتمّ العثور أيضاً على محفوظات مماثلة من هذه اللوحات في قصور مينويّة أخرى، وكذلك في أهم المراكز الميكينيّة مثل «ميكينيس» و «تيرنثا» و«طيبة» وغيرها.[٢٥] ولكن تمّ العثور على أعظم اكتشاف عام ١٩٣٩م في «بيلوس» وهو أرشيف يحتوي على أكثر من ١,٢٥٠ لوحة.[٢٦] انتهى استخدام «النظام الخطي ب» عندما سقطت المراكز الميكينية قرب نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

تعتبر رموز «النظام الخطي ب» مقاطع لفظية تطورت مورفولوجِيّاً من رموز «النظام الخطي أ»، حيث تمّ تطويعها وتمييزها وإثراؤها برموز جديدة بهدف ولادة لغة جديدة وهي اليونانية.[٢٧] واستمر استخدام الإيديوغرامات إما للتعبير عن أشياء محددة أو كرموز مميزة للأشياء التي يتم تدوينها في المفكرات وذلك جنباً إلى جنب مع الرموز العددية. لقد تم بالفعل فك رموز سبعة وثمانين مقطعاً لفظياً والعديد من الإيديوغرامات الأخرى وكان النظام العددي «للنظام الخطي ب» عشريّا ومشابهاً للنظام العددي الخاص بـ «النظام الخطي أ». ولوحظ وجود عمليات الجمع والطرح على اللوحات وكذلك بعض فئات الأعداد المركبة التي استُخدمت في حساب عمليات الوزن والقياس. كما عُثر على رموز لفصل الوحدات بالإضافة إلى رموز مشابهة ذات أحجام مختلفة للعناوين أو العناوين الفرعية أو لتحديد محتوى النصوص. وقد تم تنسيق الكتابة على هذه اللوحات بشكل أنيق كما كانت محاطة في أغلب الأحيان بخطوط أفقية لتسهيل عملية القراءة.

الديانة المينويّة

كانت الديانة المينوية محبة للطبيعة بشكل بحت، فقد كان المينويون يؤلهون تعاقب العصور وتفتح النباتات وذبولها. وكان التغيير في الطبيعة يؤثّر على عالمهم العاطفي وهو الأمر الذي جعلهم يجسدونه كدراما في خيالهم بالشكل التالي: فقد كانت الأم الكبرى تتحكم في هذا التغيير، في حين أنّ الغطاء النباتي كان يتمثّل في «الطفل الإله» أو «Μέγιστος Κοῦρος» كما سيتم تصوره فيما بعد في العصر الهلينستي حيث يولد ويموت ويُبعث كل عام.[٢٨]

٢٥. تمثال من الخزف للإلهة وهي تمسك بالثعبانين، من خزانة معبد كنوسوس. يرجع تاريخ هذا العمل إلى فترة القصور الجديدة. متحف هيراكليون الأثري.

لم تختفِ هذه الديانة مع الحضارة المينوية، بل استمرت في الوجود حيث تطورت واختلطت بعناصر جديدة في دُوَل المدن اليونانية كما يشهد الكتّاب اليونانيون واللاتينيون مشيرين إلى المعبودتين «ذيكتينا» و «فريتومارتيس».[٢٩]

هناك العديد من الصور المتنوعة للإلهة المينوية لدرجة جعلت بعض علماء الأديان يتسائلون عما إذا كانت هذه الصور تمثل آلهة مختلفة أم إلهة واحدة متغيرة الشكل مثل الطبيعة، ففي بعض الأحيان تظهر وهي جالسة تحت شجرة مقدسة كثيفة الأوراق، وأحياناً أخرى تظهر وهي واقفة في شموخ ممسكة بثعبانين في يديها أو يظهر جسدها الرائع كاملاً وهو ملفوف بثعبان ضخم. وتُصوّر الإلهة أيضاً على أنها حامية الأطفال حديثي *الولادة* وذلك في شكل أمّ تحمل بين ذراعيها «الطفل الإله»، بينما تظهر أحياناً وهي ملوّحة بالسيف كبطلة محاربة تذُبّ عن المملكة المينوية.[٣٠]

غزو «شعوب البحر» لمصر

عندما وصَف عالم المصريات الفرنسي إيمانويل دي روجيه عام ١٨٥٥ النقش المنحوت في معبد «مدينة هابو» الذي يعرض معارك المصريين في البر والبحر ضد الغزاة، فإنه ينعت الغزاة بـ «شعوب البحر».[٣١]

بعد حوالي ستين عاماً من معركة قادش ضد قوات الحيثيين تواجه مصر تهديداً جديداً يتمثّل في هجوم جماعي من قبل الليبيين، بل ومن قبل حلفائهم القادمين من الصحراء الغربية كذلك. وتُسجل النقوش الموجودة في معبد الكرنك الحملة وملك ليبيا «ميري» الذي تولّى قيادة الجيش برفقة جميع أفراد أسرته ومقتنياته وحيواناته، مما يثبت أن هذا الغزو كان بنية الهجرة والإستقرار، لكنه باء بالفشل بعد وقوع معركة شرسة في الصحراء في منتصف أبريل من عام ١٢٢٠، فقد ظفر الفرعون المنتصر بالكثير من الغنائم الذهبية والفضية بالإضافة إلى السلع المنزلية والماشية والحيوانات الأليفة الأخرى.[٣٢]

٢٦. الفرعون رمسيس لثالث ضد شعوب البحر. نقش على جدران معبد مدينة هابو وهو المعبد الجنائزي للفرعون.

تمثّل حلفاء الليبيين في الشعوب الأخرى المجاورة مثل المشواش، والشردان، والأقاواشا، والتورشا والشكلش وربما غيرهم. اضطر الفرعون رمسيس الثالث - الذي حكم منذ عام ١١٩٤ حتى عام ١١٦٢ خلال السنة الخامسة من فترة حكمة – إلى مواجهتهم حين استمروا في مواصلة تهديدهم ودخولهم إلى منطقة دلتا النيل وقيامهم بشنّ غارات حتى مدينة منف. وفي غضون سنوات قليلة، حوالي عام ١١٨٦ ساءت الأمور في ظل وجود تلك التحركات التي كانت تهدد مصر من ناحية البر والبحر.[٣٣]

واجـه رمسـيس الغـزاة في معركـة بريـة وأخـرى بحريـة حيـث تـم نقـش المعركتـين عـلى جـدران معبـد «مدينـة هامـو». فاشـتبكت القـوات المصريـة عـلى اليابسـة مـع الـشردان مـن مسـافة قريبـة، حيـث تـم تصويـر عربـات تجرهـا الثـيران محمّلـة بالنسـاء والأطفـال. وتمكـن رمسـيس بعـد تجهيـز جيشـه بشـكل جيـد واسـتعانته بمحاربـين تـمّ انتقائهـم واسـتخدامه سـلاح العجـلات الحربيـة مـن إيقـاف توغـل الغـزاة وتحقيـق نـصر مجيـد.

مـن المحتمـل أنّ المواجهـة البحريـة قـد وقعـت في دلتـا النيـل حيـث تكبّـد الغـزاة هزيمـة سـاحقة بعدمـا انقلبـت سـفنهم وغـرق محاربوهـم. تتحـدث صـور المعركـة البحريـة عـن النتائـج، فقـد ألحقـت السـفن المصريـة ضرراً بالسـفن المعاديـة مـن ناحيـة الأطـراف وقادتهـا إلى الشـاطئ حيـث تعرضـت لهجـوم مـن قبـل الرمـاة المصريـين، بينـما في نهايـة المشـهد يظهـر الأسرى وهـم مقتـادون.[٣٤]

٢٧. صورة لمشهد المعركة البحرية، من الجدار الشمالي لمعبد مدينة هابو الكبير. من إصدار N.K. Sanders، «شعوب البحر»، أثينا، أوذيسياس، ٢٠٠١.

القصور في جزيرة كريت

في جزيـرة كريـت منـذ عـام ٢٠٠٠ ق. م فصاعـداً تـمّ تأسـيس أول مجمعـات القصور الكـبرى في «كنوسـوس»، و «فيسـتوس» و«ماليـا» و «زاكـروس»، ومراكـز خاصـة بجميـع الأنشـطة الاجتماعيـة مـن الناحيـة الإداريـة والدينيـة والتجاريـة وكذلـك الحياة اليوميـة. ومـن الجديـر بالذكـر ملاحظـة أن التسلسـل الزمنـي الدقيـق لفـترات الحضـارة المينويـة تـم عـلى أسـاس التاريـخ المـصري بالتـوازي، وهـذا يوضـح مـدى أهميـة دراسـة جميـع أنـواع العلاقـات التـي كانـت بـين هاتـين الحضارتـين.[٣٥]

وتوضـح السـمات المعماريـة المميـزة – ليـس فقـط – للقصـور الملكيـة بـل وللمنـازل الخاصـة، فكـر الفـرد كمقيـاس لـكل مـا يعرفـه عـن الطبيعـة التـي تـمّ تأليفهـا، فكانـت المبـاني تمتـد عـلى بسـاتين كثيفـة تـؤدي إلى باحـات مجمعـات القصـور.[٣٦]

كان الفنـاء المركـزي يعـد سـمة أساسـية، فمنـه كان يبـدأ وإليـه كان ينتهـي كل شيء. ومـع كونـه مركـزاً كانـت تمتـد حولـه بقيـة المبـاني مـن الناحيـة الشـمالية والجنوبيـة بشـكل أسـاسي. وكان مـن المبـاني الرئيسـية في مجمعـات القصـور حـرم الإلـه والقاعـات الجانبيـة حيـث كانـت تتـم ممارسـة الطقـوس الدينيـة، مـما ينـم عـن تنظيـم سـياسي ثيوقراطـي النـوع.

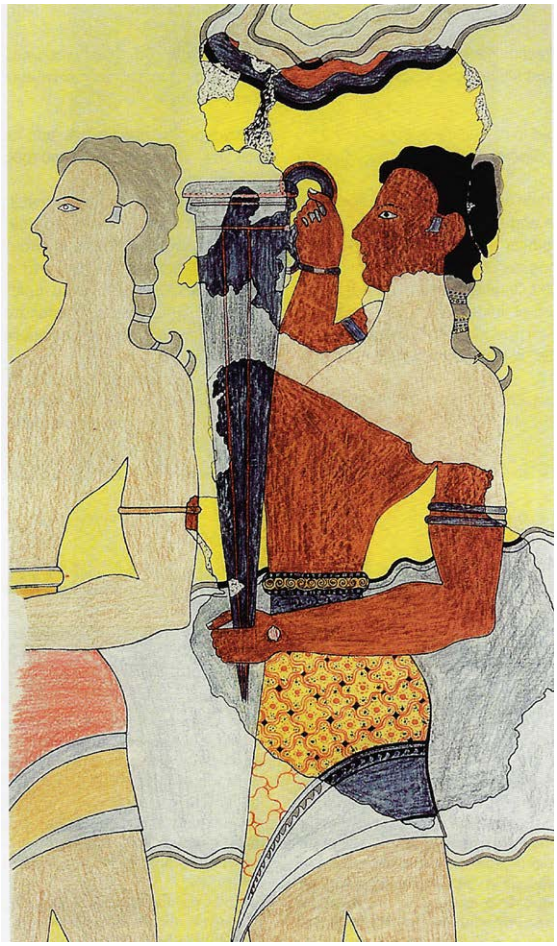

٢٨. مقدم قرن الشراب. تفاصيل من جدارية الموكب. قصر كنوسوس. يعود تاريخة للفترة المينوية المتأخرة. رسم توضيحي من تصميم M. Cameron. (Evely ١٩٩٩ ,١٩٣)

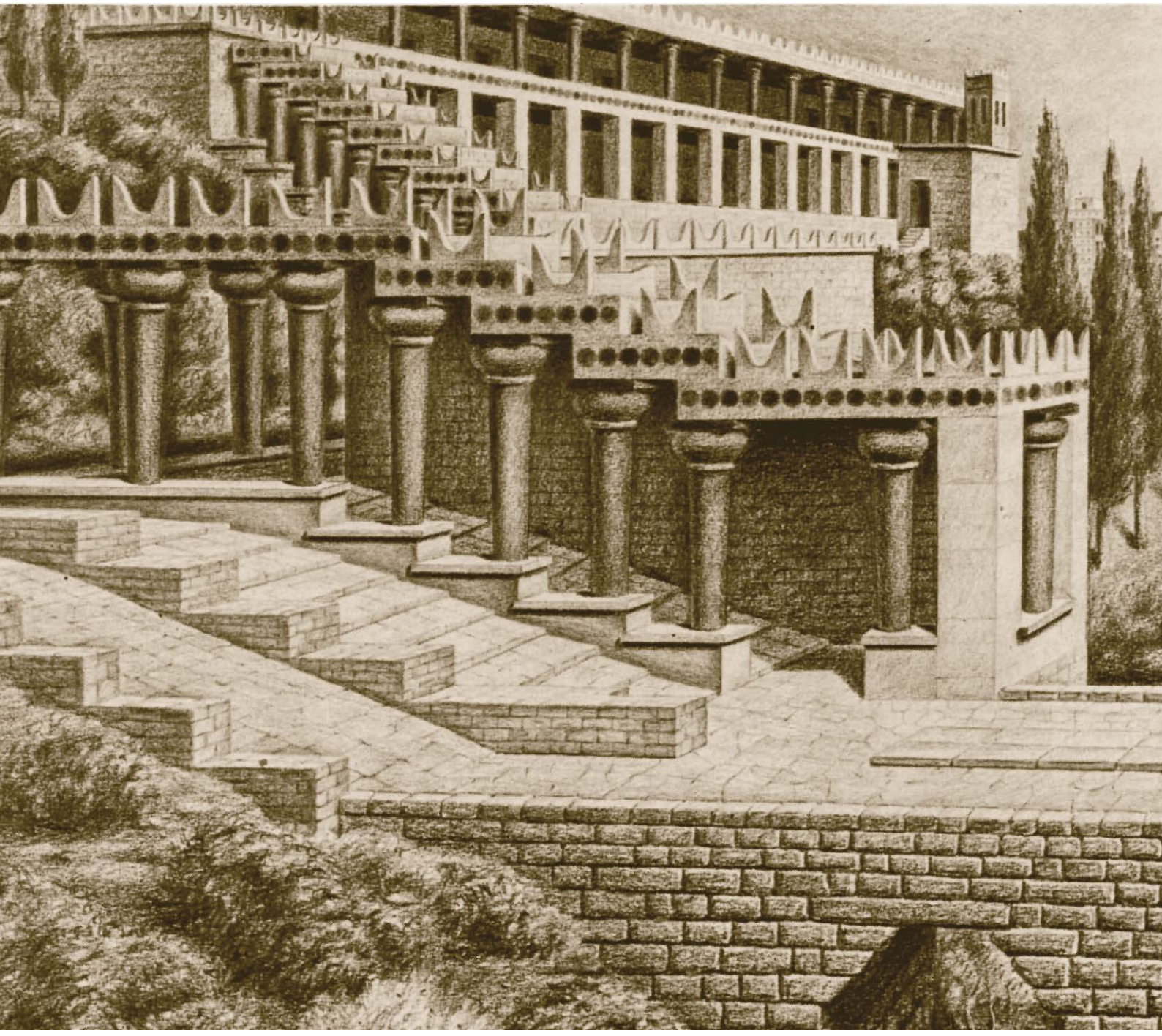

٢٩. تمثيل للمدخل الجنوبي من قصر كنوسوس برواقه المميز وأعمدته. من تصميم توماس فانوراكيس.

القصور الجديدة في جزيرة كريت

أثناء فترة القصور الجديدة التي تُحدد تاريخياً من عام ١٧٠٠ وحتى عام ١٥٠٠ ق.م.، تم إعادة بناء القصور التي كانت قد تضررت من الزلازل والحرائق، لكن مع الحفاظ على تصميمها الأوّلي.

يعدّ قصر «كنوسوس» أهم وأغنى تلك القصور حيث كان يمثل نظاماً معمارياً معقداً يشبه «المتاهة».[٣٧] وكان تخطيط الفناء المركزي – الذي كان يشير إلى الدخول والخروج من وإلى المبنى – هو نقطة بداية التصميم المعماري لجميع هذه المنشآت الفاخرة. كما امتدّ تطور الأماكن الفرعية، المشتركة منها وكذلك الرسمية مثل (قاعة العرش) إلى جميع الأنحاء. وبالنظر إلى أن المهندسين المعماريين أولوا اهتماماً خاصاً بمدى استقلالية كل مكان يُطلّ على الفِناء، فقد قدّمت الجوانب الداخلية الأربعة للمبنى تصميمات متفرّدة، اختلفت عن غيرها وكذلك بفضل تناوب الإضاءة والظل في كل قاعة.

منذ ذلك الحين ازدهرت جزيرة كريت ازدهاراً كبيراً وتوسعت في أعمالها الإبداعية في منطقة بحر إيجة واليونان القارية.[٣٨] فقد أنشأ الكريتيون مستعمرات في «كِيثيرا» و «رودوس» وقاموا بتشكيل الخطوات الأولى للحضارة الميكينية في البيلبونيز. ونتج عن ذلك إحكام المينويين سيطرتهم على الشبكة التجارية، حيث تركوا آثاراً لأنشطتهم في قبرص و «ميليتوس» و «أُوغريت» وصولاً إلى موانئ النيل الغربي.

ويشهد كذلك على وجود المينويين الذين تم تسميتهم أيضاً بسكان «كِفتيو» العديد من النقوش التصويرية، مثل النقش الذي يمثّل السفن في عهد الفرعون تحتمس الثالث وكذلك التصويرات الجصّية على القبور في طيبة، كمقبرة الوزير «رِخميرع» حيث تم تسجيل أسماء زعماء «كِفتيو» وجزر «البحر الأخضر العظيم» (من المرجح أن المقصود بها جزر الكليكلاديس).[٣٩]

إن أسلوب الرسم الخاص بفناني جزيرة كريت خلال هذه الفترة (١٥٨٠ – ١١٦٨ ق.م.) والذي تميز بحركته الطبيعية والحرة نال إعجاب المصريين أيضاً. وإذا حكمنا من خلال اللوحات سنجد أن الخوف الناجم عن الكوارث الكبرى وكذلك القلق من عدوّ لا يمكن التنبؤ به قد تراجعا تاركَين مجالاً لبهجة الحياة والاحتفال من أجل بداية جديدة.[٤٠]

الميكينيون في جزيرة كريت

ظهـرت الحضـارة الميكينيـة في منتصـف الألفيـة الثانيـة، فهـي تعـدّ أولى حضـارات العـصر البرونـزي المتأخـر والتـي امتـدت إلى جزيـرة كريـت، وجـزر بحـر إيجـة وقـبرص. لم يغـير الميكينيـون الطابـع العالمـي للحضـارة المينويـة بـل تأقلمـوا مـع الأماكـن التـي اسـتقروا فيهـا وسـاعدوا في عمليـة التحـول مـن الكتابـة التـي تعتمـد عـلى المقاطـع اللفظيـة « الإيديوغرامـات» إلى الكتابـة المقطعيـة.[٤١]

٣٠. بوابة الأسدين في ميكينيس. تفاصيل من مطبوعة حجرية قام بتصميمها أوتو ستاكيلبرج، من إصدار «La Grèce. Vues pittoresques et topogra phiques»، باريس [١٨٢٩] - ١٨٣٤.

ازدهـرت الحضـارة الميكينيـة خـلال الفـترة التـي تمثـل المرحلـة الثالثـة والأخـيرة مـن العـصر البرونـزي (حـوالي ١٦٠٠ - ١١٠٠ ق.م.) المعروفـة باسـم الفـترة الميكينيـة أو فـترة العـصر البرونـزي الأخـير في اليونـان، مـع كـون أكروبوليـس الميكينيـين هـو أهـم مركـز لهـا. وهنـاك مـن يؤيـد أن الميكينيـين هـم ورثـة الحضـارة المينويـة في جزيـرة كريـت وكذلـك الحضـارات التـي ازدهـرت في بحـر إيجـة. ولتشـكيل هويتهـم الثقافيـة، قامـوا بتبنـي العديـد مـن العنـاصر مـن فنـون المينويـين وديانتهـم بـل وسـلوكهم الاجتماعـي.[٤٢]

وشـهدت الحضـارة الميكينيـة ازدهـاراً متميـزاً بعـد ثـوران بـركان «ثـيرا» - قـرب عـام ١٥٠٠ ق.م. – الـذي ضرب جزيـرة كريـت أيضـاً، حيـث أزاح الميكينيـون المينويـين تدريجيـاً، مسـيطرين بذلـك عـلى بحـر إيجـة بالتدريـج وبلغـت هـذه الحالـة ذروتهـا عندمـا اسـتقروا ذلـك الوقـت في «كنوسـوس».[٤٣] وتسـتمر القصـور في كونهـا تمثـل مراكـز القـوة حيـث يتـم تنظيـم أنشـطة الحيـاة حولهـا، مـن الإقتصـاد، والشـعائر (الدينيـة، والجنائزيـة والخاصـة بالإنتصـارات)، والمشـاريع العامـة الكـبرى (الخاصـة بالتحصينـات، وأعـمال التحسـين والـرّي) والتجـارة الخارجيـة قبـل كل شيء.[٤٤]

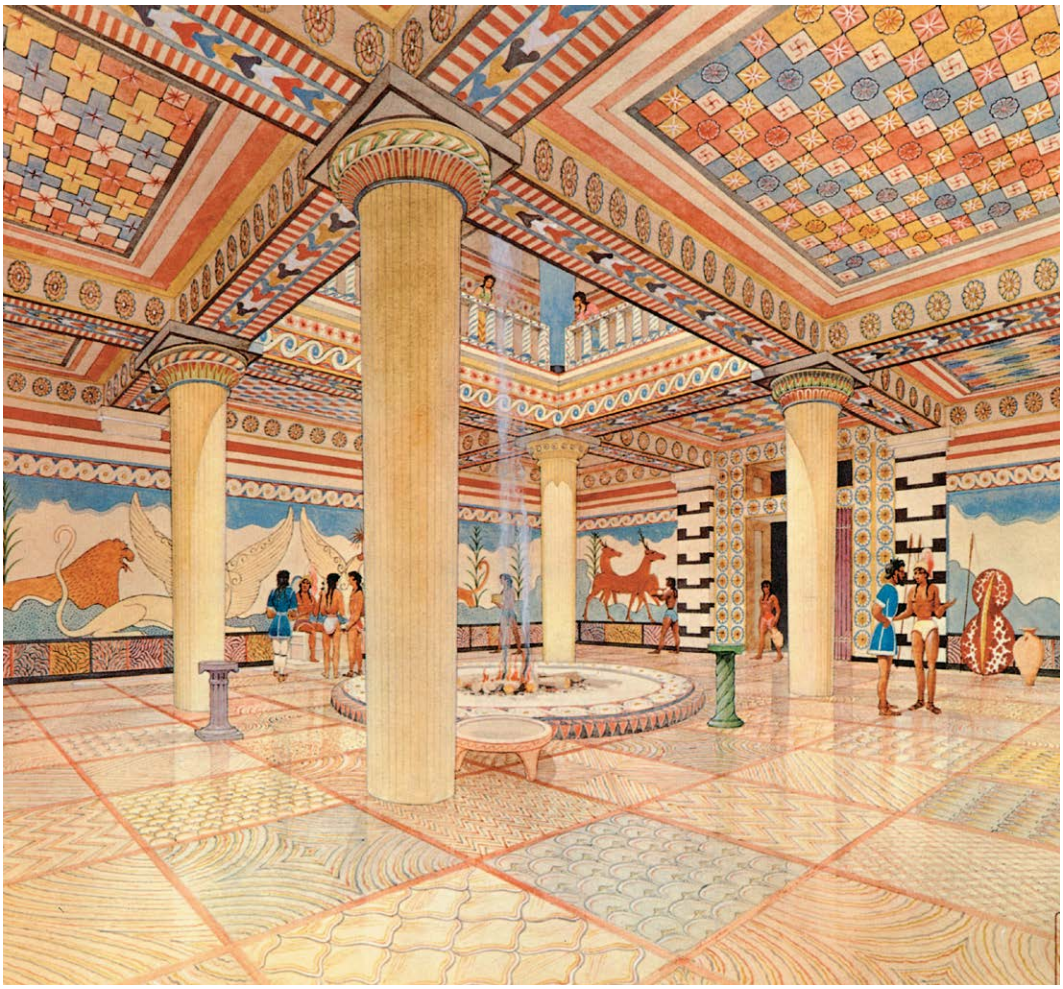

٣١. تمثيل لقاعة قصور بيلوس الغنية بالزخارف. يتوسطها الموقد الدائري الكبير الذي يقع بين أربعة أعمدة. Piet de Jong، رسم بالألوان المائية، ١٩٥٦. من إصدار C.W. Blegen، Marion Rawson (مراجعة)، «The Palace of Nestor at Pylos in Western Massenia». م. ١: The Buildings and Their Contents»، Princeton University Press، ١٩٦٦ (م. أ).

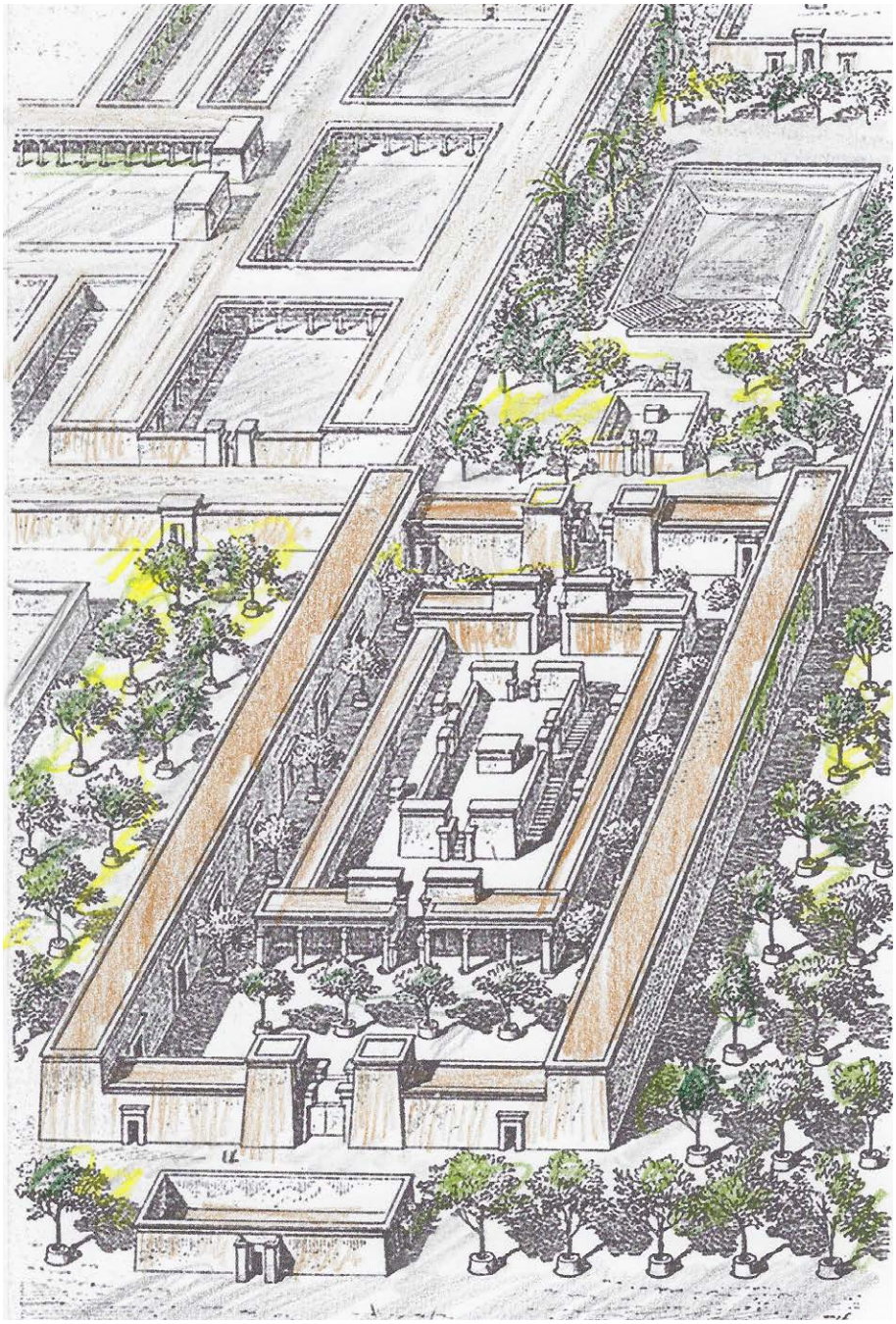

٣٢. صورة لجزء من قصر تل العمارنة (رسم توضيحي). من إصدار
Georges Perrot & Charles Chipiez، «Histoire de l’art dans l’antiquité ...»، م. ١، باريس،
Librairie Hachette، ١٨٨٢، صورة رقم ٢٦٠ (م. أ)

الإصلاح الديني في مصر

مع صعود «أمنوفيس» (أمنحتب) الرابع عرش مصر (حوالي ١٣٦٤ – ١٣٤٧ ق.م.) والمعروف باسم أخناتون (أي المخلص للإله آتون)، خطر للفرعون الجديد خطة عظيمة خاصة بالإصلاح الديني ولكنها مع الوقت فرّقت المصريين وكذلك كهنوت الإله آمون. فدون رفضه للآلهة الأخرى في مصر، قد اقترح جعْل آتون هو الإله المطلق خافِضاً بذلك من أهمية الآلهة الأخرى بشكل مباشر.[٤٥] كما كان معارضاً لتجسيد الإله في شكل إنسان أو حيوان (والذي كان اسمه يعني «القرص المُضيء»)، وفرض تصويره على شكل قرص الشمس فقط. في الحقيقة أراد أخناتون فرض ديانة توحيدية وإدخال عقيدة مختلفة على الديانة المصرية، حيث ارتقى الإله آتون بوصفه إلاهاً للشمس، وهنا لم يتم وصفه على أنه إله جديد بل صورة لإله الشمس الذي كان يُعبد في عصر المملكة القديمة.[٤٦]

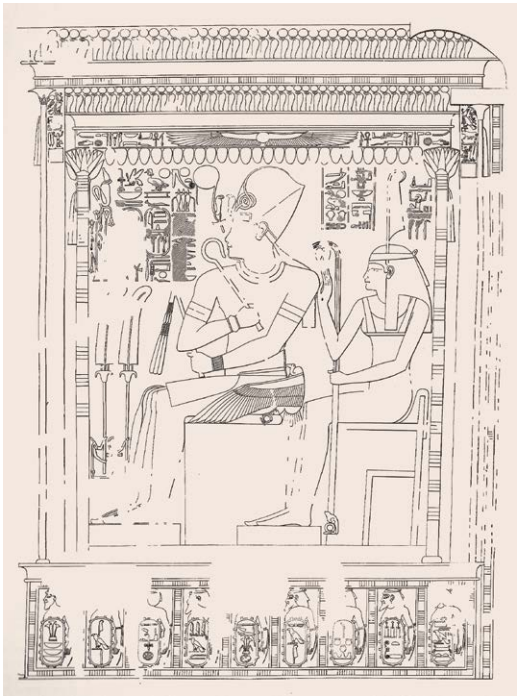

٣٣. رسم من عمل Norman Davies يحتوي على نقوش مدخل الجدار الغربي للقاعة الكبري في مقبرة رمسيس. وفيها يتم تصوير أخناتون على عرشه برفقة الإلهة ماعت. من إصدار Cyril Aldred، «Akhenaten, Pha raoh of Egypt: A new study»، لندن، Thames & Hudson، ١٩٦٨ (م. أ).

تسبب هذا الإصلاح في حدوث اضطرابات عنيفة ونشوب صراع مع كهنوت آمون في طيبة بشكل رئيسي، مما أجبر أخناتون على تأسيس مدينة جديدة تكريماً لآتون وهي مدينة تل العمارنة التي تقع بين مدينتي منف وطيبة. فكان لمعبده السيادة هناك وكان أتباع الإله أحراراً في التعبير عن بهجتهم داخل معبد تل العمارنة دون عائق وفي جو محب للطبيعة.

لم يكن لديانة أخناتون الجديدة أن تدوم طويلاً، ففي سنوات حكمه استمر عامة الناس في عبادة الآلهة التقليدية وخاصة الآلهة المنزلية مثل «إيبت» حامية الخصوبة والولادة.[٤٧]

المملكة الحديثة: فترة رمسيس

يعدّ رمسيس الثاني ابن الفرعون «سيتي الأول» أعظم ملوك أسرته (١٢٧٩ – ١٢١٣ ق.م.) وهو معروف أيضاً باسم «أوزايمنديس» في المصادر اليونانية القديمة،[٤٨] وارتبط اسمه بخروج بني إسرائيل إلى أرض الميعاد. بعد أن واجه بنجاح غزوات شعوب البحر، قام بتأمين الحدود الغربية مرسلاً حملات ضد أراضي كنعان وفلسطين، كما قام بحصر نزعات الحيثيين التوسعية، بينما في الوقت نفسه عمل على توسيع الأراضي المصرية نحو سوريا. ونتيجة لسياسته الخارجية الناجحة ساد الاستقرار والرخاء في الداخل حيث يتضح ذلك من الإنجازات الرائعة التي أشادت بعهده، ونذكر منها على سبيل المثال المدينة المعروفة باسم «بر رمسيس» أو «بيت رمسيس الثاني المعظّم بانتصاراته»، و«الرامسيوم» الذي كان

٣٤. رمسيس الثاني وهو يعتلي عجلته الحربية. تفاصيل نقش من مدينة طيبة المصرية. من إصدار «Georges Perrot & Charles Chipiez، Histoire de l’art dans l’antiquité...»، م. ١، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٢، صورة رقم ١٣ (م. أ).

يضم مجموعة من المعابد والمدارس المخصصة لذكرى الملك رمسيس ووالده، وأبو سمبل الشهير في جنوب مصر وهو معبد هام تم تكريسه للفرعون نفسه ولزوجته نفرتاري.

وتقع فترة المملكة الحديثة بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، وتغطي حكم الأسرات الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة والعشرين ويعرف الجزء الأخير منها باسم فترة رمسيس، حيث تصور العديد من القطع الفنية المنقوشة والتماثيل الضخمة عهده.

تدمير موكيناي

تم تدمير القصور الميكينية عام ١١٨٠ ق.م. ومنذ ذلك الحين بدأت أزمة عامة تلحق بشعوب شرق البحر المتوسط، مشيرة إلى بداية العصور المظلمة ليس فقط في جزيرة كريت ولكن في عالم الآخايين بأسره.[٤٩] خلال هذه الفترة ظهرت «دول مدن» جديدة على جميع البحار المحيطة باليونان القارية كما يتضح من الملاحم الهوميرية أيضاً. كما لحقت الأزمة بالممالك المصرية كذلك منذ بداية الاسرة السادسة والعشرين (حوالي ٦٦٥ – ٥٢٥ ق.م.) خلال ما يسمى بالفترة السايسية، عندما دخل الفرعون بسماتيك الأول في مناوشات مستمرة مع الآشوريين ثم مع البابليين.

وتزامن تأسيس «نقراطس» خلال الفترة السايسية مع نهضة الحضارة المصرية، بينما من الناحية الفنية تم إحياء النضارة التي ميزت فن النحت في المملكة القديمة.

تأسيس نقراطس

لقد أثّر تأسيس مستعمرة يونانية في مصر منذ القرن السابع قبل الميلاد على العلاقات بين اليونانيين والمصريين في عدة مستويات.[٥٠] ولا يزال بالطبع هناك العديد من المسائل التأريخية غير الواضحة مثل مدي صحة تأريخ العام ٥٧٠ ق.م. الذي يشير إليه هيرودوت مقارنة بتأريخ الفن الخزفي كما تحدده الحفريات الأثرية. وتوجد نقطة خلاف أخرى تتمثل في مدى كون الفرعون أحمس هو مؤسس نقراطس أم أنه عمل فقط على تجديد المدينة القديمة.

تم بناء نقراطس عند فرع النيل الكانوبي في منطقة دلتا النيل، وبالإضافة إلى

«هيراكليو» (أو ثونيس) فقد مثّلتا مركزي تجارة رئيسيين وحلقات وصل بين مصر وعالم التجارة في البحر المتوسط، وتستند هذه المعلومات على العلاقات التجارية التي تم تسجيلها مع مدن آسيا الصغرى، وفينيقيا، وقبرص واليونان القارية.

يتضح التخطيط الحضري للمدينة كذلك من خلال ما لا يقل عن ١٣٠ موضعاً من بقايا المباني العامة والمعابد التي تتميز بعناصر من العمارة الأيونية. ويعود تاريخ المعابد اليونانية التي تقع على الجانب الغربي من المدينة إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث تم وصفها من قبل هيرودوت. ومن أشهرها معبد الهيلينيون الذي تم تأسيسه برعاية تسع مدن يونانية وهي (خيوس، وتيوس، وفوكاكيا، وكلازوميناي، ورودوس، وكنيدوس، وهاليكارناسوس، وفاسيليس وميتيليني)، فقد كان يلتقي ممثلو تلك المدن كل عام ويقومون بتعيين القادة. ومن المعابد الأخرى التي ذكرها هيرودوت نذكر معبد زيوس وهيرا (المرتبط بمعبد هيرا بساموس)، ومعبد أبولو الذي تم التعرف عليه بفضل النقوش النذرية الموجودة به والمرتبطة بنظيره في ميليتوس.[٥١]

٣٥. أبو الهول جالساً. طبق يوناني شرقي، يرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، من مدينة نقراطس بمصر.

في السنوات اللاحقة ارتبط اسم نقراطس بالكاتب والنحوي متعدد المواهب «أثينايوس» الذي ظهر عام ٢٠٠ ق.م. وينسب إليه المؤلَّف القيّم «ديبنوسوفيستاي» الذي يحتوي على معلومات وفيرة تتعلق بموضوعات عن العصور القديمة والأدب والتي لا نعرفها من أي مصدر سواه.[٥٢]

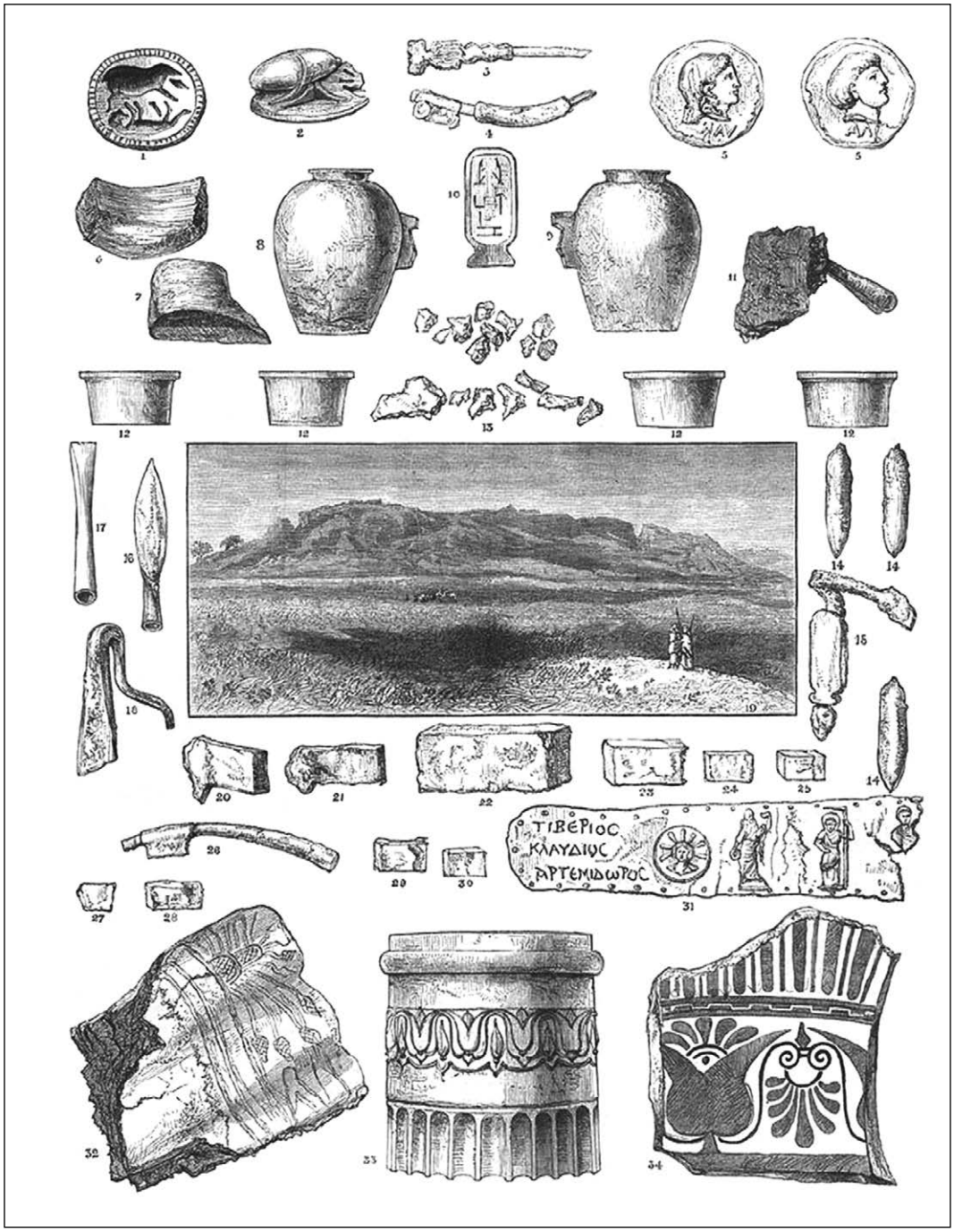

٣٦. قطع أثرية مصرية من مدينة نقراطس، ونحت خشبي حجمه ٣٣ × ٢٣,٥ سم، من مجلة «The Illustrated London News»، ١٨٥٥.

مصر تصبح ولاية فارسية

أبدى الفرعون الأخير من الأسرة الثلاثين في مصر «نختنبو الثاني» (٣٦٠ - ٣٤٢ ق.م.) اهتماماً خاصاً بالجانب الفني والاتجاهات الجديدة فيه، محتضناً بذلك العنصر اليوناني، وبمبادرة منه تم تشييد معبد إيزيس العظيم.

أصبحت مصر جزءاً من الإمبراطورية الفارسية في عهد قمبيز الثاني (٥٥٨ - ٥٢٢ ق.م.). وفي عام ٥٢٥ ق.م. أرسل الملك الفارسي جيشاً لتدمير هيكل وحي آمون في واحة سيوة، لأن الكهنة رفضوا الاعتراف بحكمه لمصر. وبعد عام ٥٢٢ ق.م. صعد داريوس الأول (الكبير) عرش بلاد فارس، حيث أعلن نفسه الخليفة الشرعي لعرش الأخمينيين ومخلّص القبائل الإيرانية. قام بتأسيس فرقة الخالدين المنتقاة المكونة من عشرة آلاف فارس والتي كانت تزين مدرجات وجدران بيرسوبوليس. وتمكنت مصر من الحصول على استقلالها عام ٤٠٤ ق.م. في الفترة التي تولها فيها أرتاكسيركسيس الثاني مقاليد حكم الفرس.

لم يتخل الفرس عن فكرة ضم مصر إلى إمبراطوريتهم، ومع ذلك لم ينجحوا على الرغم من المحاولات التي قاموا بها عام ٣٨٥ و٣٨٣ و٢٧٣ ق.م. وفي النهاية تمكن أرتاكسيركسيس الثالث بمساعدة مرتزقة يونانيين من أثينا وأسبرطة وطيبة من تقويض جيوش الفرعون نختنبو الثاني عام ٣٤٣ ق.م. وتحويل مصر إلى ولاية فارسية مرة أخرى.[٥٤]

٣٧. تمثال «حنات» ويرجع تاريخه إلى عهد «السلالة الفارسية»، فلورنسا، Museo Archeologico Nazionale di Firenze. من إصدار «برسيبوليس، المدينة المخفية»، National Geographic (أسرار الحضارات القديمة)، أثينا، سيلينا للنشر، ٢٠١٣، ص. [٤٤].

تمهيد الفصل الثاني

قبل أكثر من قرن من قرار الإسكندر بشن حملة ضد الفرس وذلك باعتبارهم العدو اللدود لليونانيين في كل مكان، كان المؤرخون اليونانيون قد أولوا اهتمامهم بشعوب الشرق. فلم يقتصروا على القيام بجولة بسيطة، بل شرعوا في عمل بحث إثنوغرافي شامل وتسجيل ما يتعلق بعادات وتقاليد هذه الشعوب، واتجاهاتها الروحية وآثارها وإنجازاتها التقنية وكذلك الحياة النباتية والحيوانية الخاصة بكل بلد. ونظراً لعدم وجود لغة مشتركة في بلاد الشرق، فقد حاول اليونانيون جاهدين سد هذه الفجوة من خلال تقديم لغتهم كلغة تواصل مشترك (lingua franca) في هذه المنطقة الشاسعة التي كانت تمتد من مضيق البوسفور حتى الهند.

وقد يميل البعض إلى الحديث بشكل مبالغ فيه بأن هؤلاء المؤرخين كانوا على علم بأحداث التاريخ المستقبلية، وكأنهم قد تنبأوا بغزو الإسكندر للشرق. وعلى أي حال، فبفضل مبادرة المؤرخين اليونانيين الإنسانية والتقدمية غير مسبوقة النظير منذ عصر هيرودوت تقدم الإسكندر واستمر خلفاؤه من بعده على نفس المنوال.

٣٨-٣٩. من إصدار ألدو مانوتسيو «Poliphili Hypnerotomachia»، البندقية ١٤٩٩.